قسم التفسير وعلوم القرآن

المادة: علوم القرآن / المرحلة الثانية ... الكورس الأول

تعريف علوم القرآن:

علوم القرآن مركب إضافي يتكون من كلمتين "علوم" و"القرآن" والمقام يقتضي أن نعرف كل كلمة وحدها لغة واصطلاحًا ثم نعقب على ذلك بتعريفهما معا مركبتين تركيبا إضافيًّا.

تعريف العلوم:

العلوم جمع علم والعلم نقيض الجهل وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة ويراد به إدراك الشيء بحقيقته أو اليقين أو هو نور يقذفه الله في القلب.

ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة مثل علم النحو، وعلم الطب، وعلم الكيمياء.

ويجمع على "علوم" وقد تسمى به المباحث التي تتناول موضوعًا واحدًا مثل: علوم العربية، والعلوم الطبيعية، والعلوم التجريبية.

تعريف القرآن

من رحمة الله بعباده حين خلقهم أن أمدهم بما يهديهم إلى صراطه المستقيم الذي كلفهم بالاستقامة عليه.

فزودهم بالفطرة التي ترشدهم إلى الحق وتدلهم عليه: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} ١.

وأرسل إليهم الرسل تصحح لهم عقائدهم وتهديهم إلى ما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة وتبشرهم وتنذرهم: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} ٢.

وأنزل معهم الكتب تبسط دعوتهم وترسي قواعد دينهم وتجلو لهم أمور عقيدتهم.

وما زال الأنبياء يتتابعون ويبنون صلاح الدين الإسلامي حتى بعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأنزل معه القرآن الكريم فأكمل الله به الدين وأكمل به الرسالة فكان خاتم الأنبياء، وكان القرآن خاتم الكتب السماوية، "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" ٣.

وتوفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبقي هذا القرآن محفوظًا من التحريف والتبديل معلنا عموم رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس كافة: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} ٤ {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} ٥.

فلا عجب أن يكون في القرآن الكريم العلاج الحاسم والدواء الناجع لجميع ما يعترض الحياة الإنسانية في مسيرتها من أمراض روحية وعقلية واجتماعية واقتصادية وسياسية، فهو تنزيل من حكيم حميد يعلم أمراض البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ويعلم علاج كل داء فضمنه القرآن الكريم وجعله باقيًا إلى يوم القيامة.

فمتى ابتغت البشرية العلاج من غيره فقد ضلت ومن حكم بغيره فقد ظلم فهو العصمة لمن تمسك به وهو النجاة لمن اتبعه.

تعريف القرآن لغة:

اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في لفظ القرآن لكنهم اتفقوا على أنه اسم فليس بفعل ولا حرف. وهذا الاسم شأنه شأن الأسماء في العربية إما أن يكون جامدا أو مشتقا.

فذهب جماعة من العلماء منهم الشافعي إلى أنه اسم جامد غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل.

وذهبت طائفة إلى أن هذا الاسم مشتق ثم افترقوا إلى فرقتين:

فقالت فرقة منهم إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقا من مادة "ق ر ن" ثم اختلفوا:

١- فقالت طائفة منهم الأشعري١: إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه ومنه قولهم: قرن بين البعيرين إذا جمع بينهما ومنه سمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران.

٢- وقالت طائفة منهم الفراء٢: إنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضا.

وقالت فرقة منهم: إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضا إلى فرقتين:

١- فقالت طائفة منهم اللحياني٣: إن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدرومنه قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} ١ أي قراءته.

٢- وقالت طائفة منهم الزجاج٢: إنه وصف على وزن فعلان مشتق من القَرْء بمعنى الجمع ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه قال ابن الأثير: "وسمي القرآن قرآنًا لأنه

جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران"٣.

تلكم خلاصة الأقوال في تعريف القرآن لغة ولعل الرسم التوضيحي يزيدها بيانا ونستطيع أن نصور هذه الأقوال بطريقتين:

تعريف القرآن اصطلاحًا:

اختص القرآن الكريم بخصائص كثيرة ولعل هذه الخصائص سبب الاختلاف في تعريف القرآن بين العلماء، فكل تعريف يذكر خاصية للقرآن يعرف بها لا يذكرها الآخر ولهذا تعددت التعريفات.

فإذا كان هناك رجل طويل ويلبس ثوبًا أبيض ورداء أحمر وحوله أشخاص أقصر منه قامة ويلبسون ثيابًا ملونة وأردية بيضًا، فإن قلت: فلان هو الطويل فقد عرفته، وإن قلت: إنه الذي يلبس الثوب الأبيض فقد عرفته وإن قلت الذي يلبس الرداء الأحمر فقد عرفته والمقصود في الكل واحد وإن اختلفت التعريفات.

وللعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة بعضها طويل ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه:

"كلام الله تعالى المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- المتعبد بتلاوته".

شرح التعريف:

فقولنا: كلام الله: خرج به كلام الإنس والجن والملائكة.

وقولنا: المنزل: خرج به ما استأثر الله بعلمه أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر، ذلكم أن من كلام الله ما ينزله إلى الناس ومنها ما يستأثر بعلمه: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} ١.

{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} ٢.

وقولنا: على محمد -صلى الله عليه وسلم- خرج به المنزل على غيره من الأنبياء كالتوراة المنزلة على موسى عليه السلاة والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام والزبور المنزل على داود عليه السلام والصحف المنزلة على إبراهيم عليه السلام.

وقولنا: المتعبد بتلاوته خرجت به الأحاديث القدسية ونريد بالمتعبد بتلاوته أمرين:

الأول: أنه المقروء في الصلاة والذي لا تصح الصلاة إلا به، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" ١.

الثاني: أن الثواب على تلاوته لا يعادله ثواب أي تلاوة لغيره فقد ورد في فضل تلاوة القرآن من النصوص ما يميزها عن غيرها، فقد روى ابن مسعود -رضي الله عنه- أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: "من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"

وليس هذا الثواب لغير التعبد بتلاوة القرآن الكريم.

==
===

لمحة تاريخية عن علوم القرآن وتدوينها

القرآن الكريم أنزل الله تعالى على نبيّه محمّد عليه الصّلاة والسّلام القرآن الكريم ليكون آخر الكتب السّماويّة، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزل عن طريق الوحي على النّبي عليه الصّلاة والسّلام، وهو الكتاب المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المعجز بآياته وسوره، وقد بدأ بسورة الفاتحة وختوم بسورة النّاس، وقد شرّف الله تعالى هذه الأمّة بهذا الكتاب العزيز الذي تكفّل الله تعالى بحفظه فلا تستطيع الإنس والجنّ ولو اجتمعت على أن تحرّف منه سورة أو آية.

مراحل نزول القرآن الكريم

قد مر القرآن الكريم بمراحل من حيث الوجود، فقد كان الأمر مكتوباً في اللّوح المحفوظ عند ربّ العزّة جلّ وعلا، قال تعالى (بل هو قرآنٌ مجيد، في لوحٍ محفوظ)، ثمّ أنزله الله تعالى إلى بيت العزّة في السّماء الدّنيا جملةً واحدة في ليلة القدر، ثمّ أنزل منجّماً أي متفرّقاً على النّبي محمّد عليه الصّلاة والسّلام على مدى ثلاثة وعشرين سنة هي مدّة البعثة النّبويّة الشّريفة.

أول آيات القرآن نزولًا وآخرها

تكلّم العلماء والمفسّرون في أوّل الآيات والسّور نزولاً، فقيل أنّ أوّل آيةٍ أنزلت على النّبي عليه الصّلاة والسّلام كانت بداية سورة العلق، حيث قيل أنّها كانت في ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان المبارك، ثمّ تحدّث المؤرّخون عن مدّة فتور الوحي وانقطاعه وقيل في أصحّ الأقوال أنّها كانت ستة أشهر، ثمّ تتابع الوحي على النّبي عليه الصّلاة والسّلام بدون انقطاع فنزلت سورة المدّثر والضّحى واللّيل وغيرها من السّور المكيّة.

بعد انتقال المسلمين إلى المدينة المنوّرة، نزلت السّور المدنيّة لتكتمل سور القرآن الكريم التي بلغت مائة وأربعة عشر سورة قبل وفاة النّبي الكريم، حيث قيل أنّ آخر

آية كانت هي آية الرّبا، وقد كانت هذه الآية الأخيرة في حجّة الوداع حيث كان يوم عرفة، وكانت كذلك الجمعة من السّنة التاسعة للهجرة .

جمع القرآن الكريم

في فترة الخلفاء الراشدين وتحديداً في خلافة أبي بكر الصّديق رضي الله عنه، بدا للمسلمين أن يجمعوا القرآن بعد أن كان مكتوباً في الألواح ومحفوظًا في الصّدور كمصلحة شرعيّة خشية من ضياع بعض آياته باستشهاد حفّاظ القرآن الكريم، ثمّ في عهد عثمان بن عفّان رضي الله حدث الجمع الثّاني له من خلال توحيد نسخ القرآن في نسخةٍ واحدة .

علوم القرآن الكريم

عني العلماء المسلمون على مرّ التّاريخ بدراسة آيات القرآن الكريم وسوره، حتّى نشأت علوم القرآن الكريم التي تضمّنت فروعاً كثيرة منها، النّاسخ، والمنسوخ، والمحكم، والمتشابه في القرآن الكريم، وعلم تفسير آيات القرآن الكريم، وأسباب النزول، والإعجاز البياني والعلمي في آيات القرآن.

مراحل تدوين القرآن الكريم

عُني النبي -عليه الصلاة والسلام- بحفظ القُرآن الكريم في صدره، فكان يُكثر من تلاوته غيباً، وكان جبريل -عليه السلام- يُراجعه معه، لحديث النبي -عليه الصلاة والسلام-: (كانَ يَعْرِضُ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عليه مَرَّتَيْنِ في العَامِ الذي قُبِضَ فِيهِ)،[١] واهتمّ صحابته كذلك بحفظه، وساعدهم على ذلك ما كانوا يتمتّعون به من قوة الحفظ والذاكرة، ونُزول القُرآن مُفرقاً، وقراءتهم له في الصلوات، والعمل به في حياتهم، وسماعهم من النبي -عليه الصلاة والسلام- الأجر الكبير المُترتّب على تلاوته؛ فالحرف يُضاعفه الله -تعالى- إلى عشر حسنات، بالإضافة إلى أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان دائم المُتابعة لِحِفظهم وتعليمهم؛ فإذا دخل شخصٌ أو جماعةٌ الإسلام؛ أرسل معهم من قُرّاء الصحابة لِيُعلّمهم القُرآن، وقد جاء في كثيرٍ من الأحاديث الصحيحة التي تُثبت وجود عددٍ كبير من الحُفّاظ بينهم، كرواية استشهاد سبعين صحابياً منهم في حروب الردّة.

المرحلة الأولى

وجّه النبي -عليه الصلاة والسلام- الصحابة لأخذ القُرآن عن كِبار المُقرئين منهم، لقوله -عليه الصلاة والسلام-: (خُذُوا القُرْآنَ مِن أرْبَعَةٍ؛ مِن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ -فَبَدَأَ به-، وسَالِمٍ مَوْلَى أبِي حُذَيْفَةَ، ومُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ)،[٣] بالإضافة إلى الخُلفاء الراشدين أيضاً، وقد تطوّرت أساليب حفظ القُرآن في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- واعتمدت طريقتين، فذكرنا حفظه في الصدور، ثُمّ السطور، وهي من طُرق

جمعه الدائم على مدار الأزمان، فقد تمّ جمع القرآن تدويناً في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام-، وذلك من خلال كتابة الآيات فور نُزولها؛ حيث كان النبي -عليه الصلاة والسلام- كُلّما نزلت عليه آيات، يُنادي على كُتّاب الوحي أو أحدُهم ويُملي عليه ذلك، وقد حَصَر النبي جُهدهم في كتابة القُرآن فقط، فقال لهم: (لا تَكْتُبُوا عَنِّي، ومَن كَتَبَ عَنِّي غيرَ القُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ)،[٤] مما ساعد على توفّر العديد من نُسخ القُرآن عند بعض الصحابة؛ كأُبيّ بن كعب، ومُعاذ بن جبل، وغيرهم.

أدلة كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- بعض الصحابة بكتابة القُرآن الكريم، وسُمّوا بِكُتّاب الوحي، ومما يدُلّ على كتابته في عصره ما يأتي:[٥]

قوله الله -تعالى-: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ)؛[٦] فلفظ الكتاب فيه دلالةٌ على أنه كان مكتوباً.

قوله -تعالى-: (رَسُولٌ مِّنَ اللَّـهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً* فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ)؛[٧] وكلمة الصحيفة كذلك تُطلق على الشيء المكتوب.

حديث النبي -عليه الصلاة والسلام-: (نَهَى أنْ يُسَافَرَ بالقُرْآنِ إلى أرْضِ العَدُوِّ)،[٨] وكذلك الإذن منه في كتابته، ونهيه عن كتابة غيره، ووجود كُتّاب الوحي، وقد جاء عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- أنّه كان جاراً للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وكان النبيّ يبعث إليه كُلّما نزل عليه شيئاً من القُرآن ليكتُبه.

توجيه النبي -عليه الصلاة والسلام- لِكُتّاب الوحي بوضع الآيات والسور التي تنزّل في موضعها، ومُراجعته معهم بعد كتابته.

كتّاب الوحي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

كان عددُ كتّاب الوحي في عهد النبيّ ما يُقارب الأربعة والأربعين كاتباً، وكانوا يضعون ما يكتبونه في حُجرات النبي -عليه الصلاة والسلام-، ومن أشهرهم:[٥] -=عبد الله بن سعد بن أبي السّرح: وهو أوّل من كتب للنبي -عليه الصلاة والسلام- في مكّة؛ حيث كان من القلّة الذين يعرفون الكتابة، ولكنّه ارتدّ عن الإسلام، فتوقّف عن الكتابة، وعاد إليها بعد أن رجع إلى الإسلام بعد فتح مكة.

=عُثمان بن عفان بن أبي العاص: وهو أحد الخُلفاء الراشدين.

=علي بن أبي طالب: وهو أحد الخُلفاء الراشدين، وكان ممّن كتب أكثر التنزيل.

= أُبيّ بن كعب بن قيس: وهو أوّل من كتب الوحي عند قدومه إلى المدينة، وكان من قُرّاء الصحابة.

= زيد بن ثابت: وكان من أكثر الكُتّاب مُلازمةً للكتابة؛ لأنّ ذلك كان عمله الوحيد.
مُعاوية بن أبي سُفيان: حيث عرض أبوه على النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يكون ابنه من كُتّابه، فوافق على ذلك، فلازمه في الكتابة.

صفة الكتابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

وكان كُتّاب الوحي يستخدمون ما تيسّر من أدوات الكتابة المختلفة في زمنهم: كالرّقاع؛ وهي القطع من الجلد أو القماش أو الورق، وأكثر كتابتهم كانت بهذه الأدوات، وكذلك الأكتاف وعظام الحيوانات، والعُسُب؛ وهو جريد النخل، واللّخاف؛ وهي الحجارة، وكذلك الأقتاب؛ وهي قطع الخشب التي توضع على البعير، وكذلك الألواح، والكرانيف؛ وهي التي تكون في جذوع النخل، وقد انتقل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى والقُرآن كُلّه مكتوباً، ولم يكُن القرآن مكتوباً حينها في مكانٍ وصحيفةٍ واحدة، وكذلك لم يكن مرتّباً حسب السور، بل حسب النّزول، إلا أن الصحابة كانوا يعلمون ترتيب سوره وآياته من النبي -عليه الصلاة والسلام-، والسبب في عدم جمعه في مُصحفٍ واحدٍ هو تقطّع النّزول، فتنزل سورةٌ بعد أُخرى تارة، وتنزل بعض السورة، ثم بعضها الآخر في وقتٍ مُتأخِّرٍ عنها، إضافةً إلى أن الفترة بين آخر الآياتِ نُزولاً وبين وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام- كانت فترةً قصيرةً وغير كافيةٍ لجمع القرآن في مُصحفٍ واحدٍ، ولم تكن الحاجة عندها مُلحّة لجمعه حينئذٍ، كما كانت بعده.

المرحلة الثانية ....

سبب تدوين وجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

تولى الخلافة أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- بعد وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام- ، فارتدّ عددٌ كبيرٌ من الناس عن الإسلام، فكانت حروب الردّة في موقعة اليمامة، واستُشهد فيها قرابة السبعين من قُرّاء الصحابة، فأشار عُمر -رضي الله عنه- على الخليفة بجمع القُرآن؛ مخافةً عليه من الضّياع، فتردّد الخليفة أبو بكرٍ في بداية الأمر؛ لِقدومه على فعلٍ لم يفعله النبي -عليه الصلاة والسلام-، وبقي يُراجعه حتى شرح الله -تعالى- قلبه للفكرة، واختار زيد بن ثابت -رضي الله عنه- لجمعه؛ لِما رأى فيه من العقل، والأمانة، والورع، والدين، ولكتابته للوحي في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام-، وحُضوره العرضة الأخيرة للقُرآن، فقام زيد بتتبّع القُرآن من خلال أدواته التي كُتب عليها، ومن صدور الصحابة الحُفاظ.

كيفية تدوين وجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

وضع زيدٌ خُطّةً مُحكمةً للجمع، وذلك بأخذ ما كُتب أمام النبي -عليه الصلاة والسلام- وبإملاءٍ منه، وما كان محفوظاً عند الصحابة على زمن النبي -عليه الصلاة والسلام- ، وقد كان يتأكّد من كلّ ذلك بشهادة عدليْن، وهما كما قال ابن حجر: الحفظ والكتابة، وقال السّخاويّ: رجلان عدْلان يشهدان أنه كُتب عند النبي -عليه الصلاة والسلام-،

كما كان يتأكّد من ثُبوت الآيات في العرضة الأخيرة على النبيّ، وعدم نسخها، فجمع -رضي الله عنه- القرآن بهذه الطريقة التي احتاط فيها لكتاب الله، وكان ذلك تحت إشراف أبي بكرٍ وعُمر وكبار الصحابة -رضي الله عنهم-، فكان أبو بكر -رضي الله عنه- أوّل من جمع القُرآن بين لوحيْن، وحفظه عنده إلى أن تُوفّي، وامتاز هذا الجمع بعدّةِ أمورٍ هي:

= جُمع القرآن في هذا المرحلة على أعلى درجات الدقّة، وأصحّ وجوه التثبّت.

= حاز جمعه على إجماع الصحابة، وقد تواتَر كلّ ما ورد فيه.

نتائج جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

كانت الأدوات والوسائل المُتوفّرة في عهد الصحابة قليلة، فقد استُخدم في جمع القرآن وكتابته: الحجارة، والجُلود، والأخشاب، والعظام، والعُسُب، واللّخاف، والأضلاع، وغيرها، وقد ورد ذكرُها وبيان معانيها في المرحلة الأولى، وكانت أبرز النتائج التي ترتّبت على هذا الجمع ما يأتي:

= كتابة القُرآن الكريم بِشكلٍ كامل، وزوال الخوف من ضياعه بموت حُفّاظه وقُرّائه.

= حفظ وجمع القُرآن الكريم في مكانٍ واحد بعد أن كان مُتفرّقاً، وإجماع الصحابة على كلّ ما كُتب وسُجّل فيه.

= صار بمثابةِ سجلٍّ يُرجع إليه عند الضرورة.

المرحلة الثالثة ....

توسّعت الفُتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عُثمان بن عفان -رضي الله عنه-، فسمح للناس الانتشار في الأمصار، فتفرّق القُرّاء منهم في البلاد، وتعلّم كُل أهل مِصرٍ القراءة ووجوهها والأحرف السبعة ممّن سكن عندهم من القُرّاء، فأهل الشام مثلاً أخذوا بقراءة أُبيّ بن كعب -رضي الله عنه-، وأهل البصرة أخذوا بقراءة أبي موسى الأشعري، ممّا جعل الاختلاف بين وجوه القراءة في الأمصار يُؤدي إلى تكفير الفتنة بين الناس، حتى قال بعضهم لبعض: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، وكانت الفتنة في البلاد البعيدة والنائية أقل اختلافاً وفتنةً من غيرها، فتنبّه حُذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- لما حدث، وتوجّه إلى الخليفة بعد فتح أرمينية؛ لجمع الناس على قراءةٍ واحدةٍ، وكان الجهل بنزول القُرآن على سبعةِ أحرف من أسباب الفتنة بين المُسلمين في الأمصار .

قرّر الخليفة عثمان -رضي الله عنه- تدارُك الأمر قبل انتشاره، وذلك بجمع الناس على قراءةٍ واحدة؛ وهي التي كان يقرأ بها عامّة الصحابة في المدينة، والتي كتبها زيد بن ثابت -رضي الله عنه- في زمن النبي -عليه الصلاة والسلام- وأبي بكرٍ -رضي الله عنه-، فخطب عثمان بالناس؛ لاستشارتهم، ودعوتهم للقيام بالمهمّة، ثُمّ

أرسل إلى حفصة -رضي الله عنها-؛ لتُرسل له المُصحف الذي جُمع في عهد أبي بكرٍ -رضي الله عنه-، وردّه إليها بعد الانتهاء من نسخه، وعيّن زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، للقيام بنسخه، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، وعندما انتهوا من نسخه، قام عثمان بحرق غيره من النُسخ، وكان ذلك بعد مُشاورة الصحابة وتأييدهم، وأرسل كُل نُسخة إلى مِصر، وأعاد المُصحف إلى حفصة -رضي الله عنها-

أمّا عدد النُسخ التي قام الصحابة بنسخها؛ فلم يرد بذلك عددٌ صحيح وثابت، فقد نُقل عن حمزة الزيّات أن عثمان كتب أربعة مصاحف، وكذلك قال الدانيّ، وروى ابن أبي داود عن أبي حاتم السجستانيّ إنها سبعة نُسخ، وبعث واحداً إلى مكة، وآخر إلى الشام، واليمن، والبحرين، والبصرة، والكوفة، وجعل بالمدينة واحداً، وقال القسطلانيّ إنها خمسُ نُسخ، وكان لهذا النَّسخ الأثر العظيم في الحفاظ على القُرآن وألفاظه، وقال البغويّ: "يرحم الله عثمان لو لم يجمع الناس على قراءةٍ واحدة لقرأ الناس القرآن بالشّعر"، أمّا الفُروقات بين جمع أبي بكرٍ وعُثمان -رضي الله عنهما- هي: أن الجمع الأول كان مخافة الضياع نهائياً، والجمع الثانيّ: كان لرفع الحرج والفتنة بين الناس؛ لاختلافهم وجهلهم في وجوه القراءة، والأحرف السبعة، وكان كلا الجمعين حسب ترتيب الآيات والسور بتوقيفٍ من النبي -عليه الصلاة والسلام،.[١٠] وكان لجهد النبي -عليه الصلاة والسلام- وصحابته الأثر الكبير في حفظ القُرآن بشكله ومضمونه من التحريف والتغيير، فمُنذ نُزوله لم يقدر أحدٌ على الزيادة أو النُقصان منه.

بقاء القرآن الكريم محفوظاً

الأدلة على حفظ القرآن الكريم

تكفّل الله -تعالى- بحفظ القُرآن الكريم من الزيادةِ أو النُقصان أو الضياع، ودلّ على ذلك الكثير من الأدلة، ومنها ما يأتي:[١٢]

= قول الله -تعالى-: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)؛[١٣] وفسّر الطبريّ هذه الآية بأن الله -سبحانه- حفظ القُرآن من الزيادة أو النُقصان؛ سواءً كان ذلك في حُروفه، أو أحكامه، أو حُدوده، أو فرائضه، وقال قتادة يعني ذلك حفظه من زيادة الشيطان فيه شيئاً من الباطل، أو النُقصان من الحق الذي فيه.

= قوله -تعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)؛[١٤] قال الطبريّ إن هذا القُرآن عزيزٌ بعزِّ الله -تعالى- الذي أنزله، فلا يقدر أحدٌ على تغييره، أو تبديله، أو تحريفه، ولا يقدر أحدٌ على تبديل معانيه، أو إلحاق ما ليس فيه به، سواءً كان إنسان أو شيطان.

= قوله -تعالى-: (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا)؛[١٥] قال ابن كثير إنه لا مُغيّر أو محرّف أو مُؤوّل لكلام الله -تعالى-، وقال السعديّ إنه لا مُغير أو مُبدل لصدق وعدل كتاب الله -تعالى-.

= قوله -تعالى-: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ* بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)؛[١٦] فكتاب الله -تعالى- محفوظٌ في صدور أهل العلم، ولا يُمكن لأحدٍ تغييره.

= قوله -تعالى-: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)؛[١٧] أي إن الله -تعالى- توعّد من يُحاول الزيادة أو النقص أو الافتراء من كتابه بالعُقوبة العاجلة.

= قوله -تعالى-: (حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)؛[١٨] فَوَصْفُ الله -تعالى- لكتابه بالعلوّ والرِّفعة دليلٌ على حفظه من التغيير والتحريف، وجاء عن ابن كثير إن كلمة حكيم تعني أنه بعيدٌ عن اللّبس والتحريف.

= قوله -تعالى-: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)؛[١٩] فالقُرآن محفوظٌ من كُلّ شكّ، وتحريفه وتغييره من أعظم أنواع الشك التي نفاها الله عن كتابه الكريم. قول النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن ربّه: (إنَّما بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ المَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ)؛[٢٠] أي أن القرآن محفوظٌ في الصدور، لا يتغيّر على مدار الأزمان ولو غُسلت جميع المصاحف بالماء.

أسباب أدّت إلى حفظ القرآن

وقد حرِص النبي -عليه الصلاة والسلام- مُنذ نُزول الوحي على القرآن بحفظه وإظهاره، فكان يستعجل حفظه بتحريك لسانه في شدّةٍ وحرج؛ مخافةَ نسيانه، فقال الله -تعالى- له: (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)،[٢١] فأمره الله -تعالى- بأخذ الوحي، وهو -سبحانه- يتكفّل بحفظ القرآن وجمعه وبيانه وتفسيره له، وكان الوحي يُراجعُ القرآن مع في كُل عامٍ مرةٍ واحدة، وفي العام الذي توفّي فيه النبيّ راجعه معه مرّتين، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يُراجعُه في جميع أوقاته؛ كصلاته، وسفره، وحضره، وكان يأتمرُ بأمره، ويجتنب نواهيه، ويُبلّغه للناس، مما جعل الصحابة -رضي الله عنهم- يُلازمونه، ويتعلمون القُرآن منه ويحفظونه،[٢٢] ومن الأسباب التي ساعدت على حفظ القُرآن الكريم إضافةً إلى ما سبق ما يأتي:

= تميّز أسلوب القرآن الكريم ونظمه البليغ.

= تشريع قراءته في الصلوات، سواءً كانت فرضاً أم نافلة، سراً أم جهراً.

= تعلُّقه بالتشريعات والأحكام الشرعيّة وأُمور الحياة، كالصلاة، والمُعاملات، والعبادات، وغير ذلك.

= ترتيب الأجر والثواب على قراءته، وحفظه، وتعلُّمه، وتعليمِه، كقوله -تعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّـهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ* لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ).

= سهولة حفظه وتيسيره، لقوله -تعالى-: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)

AL- G/ H - M

٢٠٢١ / ٩ / ٣٠

==

=======================================

مؤلفات في علوم القرآن حسب تعاقبها الزمني ::

علوم القرآن في عصر التدوين :

يمكن القول إن تدوين علوم اللغة العربية وعلوم القرآن وغيرها قد بدأ في أواخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني، وأن القرن الثاني لم ينقض إلا ومعظم العلوم قد دوّنت وظهرت فيها المؤلفات، ومن أوائل الكتب المؤلفة في علوم القرآن كتاب «التفسير» لعبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) الذي رواه تلميذه مجاهد بن جبر المكي (ت ١٠٤ هـ) (١)، ومنها كتاب في هجاء (رسم) المصاحف لعبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي (ت ١١٨ هـ) (٢). وكتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) (٣)، ثم تتابع التأليف وكثر في علوم القرآن.

ويقدّم ابن النديم صورة واضحة في كتابه «الفهرست» عن حركة التأليف في علوم القرآن، حتى سنة ٣٧٧ هـ وهي سنة تأليفه الكتاب، حيث ذكر أكثر من ٢٥٠ كتابا في موضوعات متعددة من علوم القرآن، نشير إلى أهمها :

الكتب المؤلفة في تفسير القرآن: ذكر ١٤ كتابا.

الكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله ومجازه: ذكر ٢٥ كتابا.

الكتب المؤلفة في غريب القرآن: ذكر ١٤ كتابا.

الكتب المؤلفة في القراءات: ذكر ٢٢ كتابا.

الكتب المؤلفة في الوقف والابتداء في القرآن: ذكر ١٢ كتابا.

الكتب المؤلفة في متشابه القرآن: ذكر ١٠ كتب.

الكتب المؤلفة في فضائل القرآن: ذكر ١٢ كتابا.

الكتب المؤلفة في عدد آي القرآن: ذكر ١٩ كتابا.

الكتب المؤلفة في ناسخ القرآن ومنسوخه: ذكر ١٨ كتابا.

الكتب المؤلفة في أحكام القرآن: ذكر ١١ كتابا.

وتتميز هذه المرحلة بأن لكل علم من علوم القرآن كتبا خاصة به، فالكتاب الواحد لا يتناول إلا مباحث علم واحد، فلم تكن المؤلفات الجامعة قد ظهرت بعد.

المرحلة الثالثة: مرحلة المؤلفات الجامعة

خصص ابن النديم الفن الثالث من المقالة الأولى من كتابه الفهرست، لعلوم القرآن، وقال في مطلعه: «الفن الثالث: في نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأسماء الكتب المصنفة في علومه، وأخبار القراء وأسماء رواتهم» (١). وما فعله ابن النديم هنا يمثل بداية اتجاه جديد للتأليف في علوم القرآن يتمثل بجمع خلاصة لعلوم القرآن كافة في مكان واحد، بعد أن كانت كتب علوم القرآن يختص كل كتاب منها بمباحث علم واحد. وأشهر الكتب التي اتبعت هذا المنهج:

١ - كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، تأليف ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) (١).

٢ - جمال القراء وكمال القراء، تأليف علم الدين السخاوي. (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد المتوفى سنة ٦٤٣ هـ) (٢).

٣ - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي.

(أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المتوفى سنة ٦٦٥ هـ) (٣).

٤ - البرهان في علوم القرآن، تأليف بدر الدين الزركشي. (محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٧٩٤ هـ) (٤).

٥ - الإتقان في علوم القرآن، تأليف جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى سنة ٩١١ هـ) (٥).

وكتاب «الإتقان» هو أكبر كتاب في علوم القرآن، جمع فيه السيوطي خلاصة ثمانين مبحثا من مباحث علوم القرآن، استخلصها من المؤلفات السابقة له، وكان خاتمة للمؤلفات الجامعة في العصور المتقدمة.

المرحلة الرابعة: علوم القرآن في العصر الحديث:

عاد العلماء إلى التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث، وتنوعت اتجاهات التأليف عندهم:

فمنهم من اتبع منهج المؤلفات الجامعة، مثل الشيخ طاهر الجزائري (ت ١٩٢٠ م) في كتابه «التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن»، الذي اختصر فيه بعض مباحث (الاتقان) للسيوطي. والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٩٤٨ م) في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن». ونحا هذا المنحى الدكتور صبحي الصالح في كتابه «مباحث في علوم القرآن» وغير هؤلاء كثير.

ومنهم من ألّف في علم واحد من علوم القرآن أو قضية من قضايا تأريخ القرآن، مثل كتاب «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي، وكتاب «النبأ العظيم» للدكتور محمد عبد الله دراز، وكتاب «النسخ في القرآن» للدكتور مصطفى زيد، وكتاب «الإعجاز البياني للقرآن» للدكتورة عائشة عبد الرحمن، وكتاب «التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن» للأستاذ حنفي أحمد، وغيرها كثير أيضا.

وكان للمستشرقين دور في الدراسات الحديثة عن القرآن وعلومه، لكن أكثر تلك الدراسات كانت تنطلق من نظرة يشوبها التعصب (١)، وأشهر ما كتبوه كتاب «تاريخ القرآن» للمستشرق الألماني تيودور نولدكه، الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٨٦٠ م، والذي قال عنه المستشرق آثر جفري: «وهو الآن أساس كل بحث في علوم القرآن في أوربا» (٢)، وكتاب «مذاهب التفسير الإسلامي» للمستشرق المجري الأصل جولد تسهير (ت ١٩٢٠ م) (٣)، وكتاب «القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره» للمستشرق الفرنسي بلاشير (٤).

ومن الكتب التي كتبها باحث غربي واتسمت بالموضوعية إلى حد كبير، كتاب «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» للكاتب الفرنسي موريس بوكاي (١)، الذي أراد في هذا الكتاب (اختبار الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة) (٢)، والذي ختمه بقوله: «وبالنظر إلى حال المعارف في عصر محمد، لا نستطيع أن نفهم بأن كثيرا من الأخبار القرآنية التي لها سمة علمية يمكن أن تكون عمل إنسان، ولذلك فإن

المشروع ليس بأن يعتبر القرآن تعبيرا لوحي فقط، بل بأن يعطى مركزا ممتازا لما يتمتع به من الأصالة الفريدة ولوجود أخبار علمية لديه ظهرت كتحد للتفسير الإنساني» (٣).

إن التأليف في علوم القرآن في اتجاهيه العام والخاص لم ينقطع منذ بدئه إلى زماننا، وهو يعكس مقدار عناية الأمة بالقرآن الكريم، والحاجة الدائمة إلى مؤلفات توضح تأريخ النص القرآني، وتكشف عن وجوه إعجازه، وتبين ما يتضمنه من الحكمة ومعالم الهداية التي تتطلع إليها البشرية أفرادا وجماعات في جميع العصور.

AL- G/ H - M

٣٠ / ٩ / ٢٠٢١

==
==
==========================

أهم علوم القرآن التي افردت بمادة مستقلة ...... التفسير

تعريفُ التَّفسير اللُّغويِّ

قبلَ الولوجِ في تعريفِ مصطلحِ «التَّفسيرِ اللُّغويِّ»، يحسنُ تعريفُ هاتينِ المفردتينِ قبلَ الإضافةِ؛ لكي يكون هذا التعريفُ للمفردتينِ مدخلاً يوضِّحُ المرادَ بمصطلحِ التَّفسير اللُّغويِّ.

أولاً: تعريف التفسير:

التفسير لغةً:

التَّفسيرُ: تفعيلٌ من الفَسْرِ، وأصلُ مادَّتِه اللُّغوية تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه ()، ولذا قيلَ: الفَسْرُ: كَشفُ المغطَّى ().

وقيلَ: هو مأخوذٌ من قولِهم: فَسَرْتُ الحديثَ، أفسُرُهُ فَسْراً؛ إذا بيَّنْتُه وأوضحتُه. وفَسَّرْتُهُ تفسيراً: كذلك (١).

والأشهرُ في الاستعمالِ: فَسَّرَ تفسيراً، بتشديدِ حرفِ السِّينِ في الماضي، وبه جاءَ القرآنُ، كما قالَ تعالى: {وَلاَ يَأتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: ٣٣].

قالَ مجاهد (ت:١٠٤) (٢) في تفسير هذه الآية: «{وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}: بياناً» (٣).

ومن الألفاظِ التي تُستخدمُ للدلالةِ على التَّفسيرِ، لفظُ التأويلِ ولفظُ المعنى. قالَ ابنُ الأعرابيِّ (ت:٢٣١) (٤): «التفسيرُ والتأويلُ والمعنى؛ واحدٌ» (٥). فإذا قال مفسِّرٌ: «معنى هذهِ الآيةِ كذا» (٦)، أو قال: «تأويلُ هذه الآيةِ كذا» (١)؛ فإنَّ المرادَ بهاتينِ العبارتينِ: تفسيرُها.

هذا، وقد استخدمَ إمامُ المفسِّرينَ ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ (ت:٣٠٩) (٢) مصطلحَ التأويلِ بمعنى: التفسيرِ، في عنوانِ كتابِهِ: «جَامِعِ الْبَيَانِ عَنْ تَأوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ»، كما أنه يُطلِقُ على أهلِ التَّفسيرِ: أهلَ التَّأويلِ، ويترجم لكل مقطعٍ من الآياتِ بقوله: «القول في تأويل قوله تعالى».

التفسير اصطلاحاً:

اختلفتْ عباراتُ المعرِّفينَ لمصطلحِ التفسيرِ، وكان فيها توسُّعٌ أو اختصارٌ، وممن عرَّفه:

* ابن جُزَيّ (ت:٧٤١) (٣)، قالَ: «معنى التَّفسيرِ: شرحُ القرآنِ، وبيانُ معناه، والإفصاحُ بما يقتضيه بنصِّه أو إشارَتِه أو نجواه» (٤).

* وعرَّفَهُ أبو حيان (ت:٧٤٥) (٥)، فقال: «التفسيرُ: علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآن، ومدلولاتِها، وأحكامِها الإفراديَّةِ والتركيبيَّةِ، ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حالَ التركيبِ، وتتماتُ ذلك.

فقولنا: «علم»: هو جنسٌ يشملُ سائرَ العلومِ.

وقولنا: «يُبحثُ فيه عن كيفيَّةِ النُّطقِ بألفاظِ القرآنِ»: هذا علمُ القراءاتِ.

وقولنا: «ومدلولاتها»، أي: مدلولاتِ تلك الألفاظِ، وهذا علمُ اللُّغةِ الذي يُحْتاجُ إليه في هذا العلمِ.

وقولنا: «وأحكامها الإفرادية والتَّركيبية»: هذا يشملُ علمَ التَّصريفِ، وعلمَ الإعرابِ، وعلمَ البيانِ، وعلمَ البديعِ.

«ومعانيها التي تحمل عليها حال التَّركيب»: شملَ بقوله: «التي تحمل عليها»: ما لا دلالةَ عليه بالحقيقةِ، وما دلالته عليه بالمجازِ، فإنَّ التَّركيبَ قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصدُّ عن الحملِ على الظَّاهرِ صادٌّ، فيحتاج لأجل ذلك أن يُحملَ على غيرِ الظَّاهرِ، وهو المجازُ.

وقولنا: «وتتمات ذلك»: هو معرفةُ النَّسخِ، وسببُ النُّزولِ، وقصةٌ توضِّحُ ما انبهمَ في القرآنِ، ونحوُ ذلك» (١).

* وعرَّفه الزَّرْكَشِيُّ (ت:٧٩٤) (٢) في موضعينِ من كتابِه البرهانِ في علوم القرآن، فقالَ في الموضعِ الأوَّلِ: «علمٌ يُعرفُ به فَهْمُ كتابِ اللهِ المنَزَّلِ على نبيه محمدٍ صلّى الله عليه وسلّم، وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامِه وحِكَمِهِ» (.وعرَّفه في الموضعِ الثاني، فقال: «هو عِلْمُ نُزولِ الآيةِ وسورتِها وأقاصيصِها والإشاراتِ النَّازلةِ فيها، ثُمَّ ترتيبُ مكِّيِّها ومدنِّيها، ومحكمِها ومتشابِهها، وناسخِها ومنسوخِها، وخاصِّها وعامِّها، ومطلقِها ومقيدِها، ومجملِها ومفسرِها.

وزادَ فيه قومٌ، فقالوا: علمُ حلالِها وحرامِها، ووعدِها ووعيدها، وأمرِها ونهيِها، وعِبَرِها وأمثالِها» (١).

* وقال ابنُ عَرَفَةَ المالكي (ت:٨٠٣) (٢): «... هو العلمُ بمدلولِ القرآنِ وخاصِّيَةِ كيفيةِ دلالتِه، وأسبابِ النُّزولِ، والنَّاسخِ والمنسوخِ.

فقولنا: خاصيةِ كيفيَّةِ دلالتِه: هي إعجازُه، ومعانيه البيانيَّةُ، وما فيه من علمِ البديعِ الذي يذكره الزَّمَخْشَرِيُّ (٣)، ومن نحا نحوه» (٤).

* وقال الكَافِيجِيُّ (ت:٨٧٩) (٥): «وأمَّا التَّفسيرُ في العُرْفِ، فهو كشفُ معاني القرآنِ، وبيانُ المرادِ.

والمرادُ من معاني القرآنِ أعمُّ، سواءً كانت معاني لغويَّةً أو شرعيَّةً، وسواءً كانت بالوضعِ أو بمعونةِ المقامِ وسَوْقِ الكلامِ وبقرائنِ الأحوالِ؛ نحو: السَّماء والأرض والجنَّة والنَّار، وغير ذلك. ونحو: الأحكام الخمسة. ونحو: خواصِّ التَّركيب اللازمة له بوجه من الوجوه» (١).

* وقال محمَّد الطَّاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣) (٢): «التَّفسير ... : اسمٌ للعِلْمِ الباحثِ عن بيانِ معاني ألفاظِ القرآنِ، وما يستفاد منها، باختصارٍ أو توسعٍ» (٣).

* وقال عبد العظيم الزُّرْقَانِيُّ: «علمٌ يُبحَثُ فيه عن القرآنِ الكريمِ من حيثُ دلالتُه على مرادِ اللهِ بقدرِ الطاقةِ البشريَّةِ» (٤).

* وقال منَّاع القطَّان: «بيانُ كلامِ اللهِ المنَزلِ على محمدٍ صلّى الله عليه وسلّم.

فبيانُ كلامِ اللهِ ـ هذا المركَّبُ الإضافيُّ ـ: يُخرِجُ بيانُ كلامِ غيرِ اللهِ من الإنسِ والجنِّ والملائكةِ.

والمنَزَّلُ: يُخرِجُ كلامَ اللهِ الذي استأثرَ به سبحانَه.

وتقييد المُنَزَّلِ بكونِه «على محمَّد صلّى الله عليه وسلّم»: يُخرَجُ به ما أُنزِلَ على الأنبياءِ قبله؛ كالتَّوراةِ والإنجيلِ» (١).

* وقال محمد بن صالح بن عُثَيمِين: «بيان معاني القرآن الكريم» (٢).

تحليل هذه التعريفات:

١ - يلاحظُ أنَّ بعضَ أصحاب هذه التَّعريفات نظرَ إلى جملةِ العلومِ التي تسْتَنْبِطُنُها كتبُ التَّفسيرِ، ولكثرتِها، فإنَّه لا يُتمكَّنُ من حصرِها وعدِّها كلِّها في التَّعريفِ، فجاءتْ في بعضِ التَّعريفات مثالاً لهذه الموضوعاتِ، وهذا ليس فيه تحديدٌ دقيقٌ لعلمِ التَّفسيرِ، ويظهرُ هذا واضحاً في تعريفِ أبي حيَّانَ الأندلسيِّ (ت:٧٤٥) والزَّرْكَشِيِّ (ت:٧٩٤).

٢ - ويلاحظُ أنَّ بعضَهم ذَكَرَ ما ليس من علمِ التَّفسيرِ؛ كقولِ أبي حيَّانَ الأندلسيِّ (ت:٧٤٥): «وقولنا: يُبحثُ فيه عن كيفيةِ النُّطقِ بألفاظِ القرآنِ: هذا علمُ القراءاتِ» (٣).

ومعلومٌ أنَّه ليس من مُهِمَّةِ المُفسِّرِ بيانُ كيفيَّةِ النُّطقِ بألفاظِ القرآنِ، إذ هذا من مُهِمَّةِ مقرئ القرآنِ.

وإنما يتعلقُ بالتَّفسيرِ من هذا العلمِ ما كان له أثرٌ في اختلافِ المعنى؛ مثلُ الاختلافِ في قوله تعالى: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ} [التكوير: ٢٤]، حيثُ قُرِئَ: «بِضَنِينٍ» و «بِظَنِينٍ»، فمن قرأ: «بضنين»، فمعناه: ما هو ببخيل. ومن قرأ: «بظنين»، فمعناه: ما هو بمتَّهم (٤).

أمَّا ما يتعلقُ بالأداءِ في القراءاتِ؛ كالإمالةِ، والتَّقليلِ، والهمزةِ، والإدغامِ، وغيرِها، فإنَّه لا أثرَ لها في التَّفسيرِ، ومن ثَمَّ، فهي ليست من علومِ التَّفسيرِ التي يحتاجها المفسِّرُ.

٣ - كما يلاحظُ أنَّ بعضَ العلومِ المذكورةِ لم يُذكَرْ لها ضابطٌ فيما يدخلُ منها وما لا يدخلُ في التَّفسيرِ.

ومن العلومِ ـ مثلاً ـ علمُ الأحكامِ (أي: علم الفقه)، وليس كلُّ ما ذُكِرَ منه في كتبِ التَّفسيرِ داخلاً في مصطلحِ التَّفسيرِ؛ لأنَّ بعضَ المفسِّرينَ يتوسَّعونَ في ذكرِ المسائلِ المتعلِّقةِ بموضوعِ الحكمِ الشَّرعيِّ الذي نَصَّتْ عليه الآيةُ، وهذا التَّوسُّعُ محلُّه كتبُ الفقهِ، وليسَ كتبَ التَّفسيرِ، وقد أشارَ إلى ذلك بعضُ المفسِّرينَ، منهم:

* الطبريُّ (ت:٣١٠)، قال في تفسير قوله تعالى: {وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ} [المائدة: ٩٥]: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنَّ الله تعالى ذكرُه حرَّمَ قتلَ صيدِ البرِّ على كلِّ مُحْرِمٍ في حالِ إحرامِه ما دام مُحرِماً بقولِه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ} [المائدة: ٩٥]، ثمَّ بيَّنَ حكمَ من قتلَ ما قتلَ من ذلكَ في حالِ إحرامِه مُتعمِّداً لقتلِه، ولم يُخصِّص به المتعمِّدَ قتلَه في حالِ نسيانِه لإحرامِه، ولا المخطئَ في قتلِه في حالِ ذكرِه إحرامَه، بل عمَّ في التَّنْزيلِ ـ بإيجابِ الجزاءِ ـ كلَّ

قاتلِ صيدٍ في حالِ إحرامِه متعمِّداً ... وأمَّا ما يلزمُ بالخطأ قاتلَه، فقد بيَّنَّا القول فيه في كتابنا: (كتابِ لطيفِ القولِ في أحكامِ الشَّرائع) بما أغنى عن ذكرِه في هذا الموضعِ.

وليسَ هذا الموضِعُ موضعَ ذكرِه؛ لأنَّ قصدنا في هذا الكتاب؛ الإبانةُ عن تأويلِ التَّنْزيلِ، وليسَ في التَّنْزيلِ للخطَأ ذِكْرٌ، فنذْكُر أحْكامَه»).

* وأبو حيَّان (ت:٧٤٥)، قال: «وقد تَعَرَّضَ المفسِّرون في كتبِهم لحكمِ التَّسميةِ في الصَّلاةِ، وذكروا اختلافَ العلماءِ في ذلك، وأطالوا التَّفاريعَ في ذلك، وكذلك فَعَلُوا في غيرِ ما آيةٍ، وموضوعُ هذا كتبُ الفقهِ.

وكذلك تكلَّمَ بعضُهم على التَّعَوُّذِ، وعلى حكمِه، وليس من القرآنِ بإجماعٍ.

ونحنُ في كتابِنا هذا لا نتعرَّضُ لحكمٍ شرعيٍّ إ لاَّ إذا كان لفظُ القرآنِ يدلُّ على ذلك الحكمِ، أو يمكنُ استنباطُه منه بوجهٍ من وجوهِ الاستنباطاتِ» (١).

لقد ذكر الطَّبريُّ (ت: ٣١٠) وأبو حيان (ت:٧٤٥) هاهنا الضابطَ الذي يُعتمدُ عليه في ذكرِ مثْلِ هذه الأحكام، وهو أن يكونَ القرآنُ نصَّ على الحكمِ الفقهيِّ، فإنَّهم يبيِّنونَ هذا الحكمَ ولا يتوسَّعونَ في بيانِ ما يتعلَّقُ به من الأحكامِ التي لَم يردِ النَّصُّ عليها في القرآنِ، ومنْ ثَمَّ، فبيانُ الحكمِ الذي نصَّ عليه القرآنُ من التَّفسيرِ، وما يُذكرُ من المسائلِ الفقهيَّةِ المتعلِّقةِ بهذا الحكمِ، ولم ينصَّ عليها القرآنُ فهي ليستْ من التَّفسيرِ، ومحلُّها كتبُ الفقهِ، واللهُ أعلمُ.

والملاحظُ أنَّ أبا حيَّانَ (ت:٧٤٥) لم يلتزم هذا الضَّابطَ الذي ذكره في إيرادِه للأحكامِ عندَ تعرُّضِه للمسائلِ اللُّغويَّةِ والصَّرفيَّةِ والنَّحويَّةِ، بل توسَّع فيها، حتى خرجَ بها عن حدِّ التَّفسيرِ.

وأخيراً، إذا أمعنتَ النَّظرَ في هذه التَّعريفات فإنك ستجدُ بعضَها قد انطلقَ من المعنى اللُّغويِّ للتَّفسيرِ، وهذا هو الصوابُ، وقد استُعملتْ في هذه التَّعريفات عباراتُ: بيانٍ، وشرحٍ، وكشفٍ؛ للتَّعبير عن معنى «التَّفسير».

ويمكنُ من هذا المنطلقِ القولُ بأنَّ عمليةَ التَّفسيرِ إنَّما هي بيانُ وشرحُ القرآنِ، فما كان خارجَ نطاقِ البيانِ فإنَّه غيرُ داخلٍ في مصطلحِ التَّفسيرِ (١)، ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ ما يرجعُ إلى المُحَسِّنَاتِ اللَّفظيَّةِ من علمِ البديعِ؛ كالطِّباقِ (٢) المذكورِ في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم: ٤٣] (٣) فإنه لا أثرَ له في بيانِ الآيةِ؛ أي أنَّه يمكنك أن تفهم معنى الآية، وإنْ لم تعرفْ هذا الطِّباقَ المذكورَ.

وغايةُ هذا البيانِ فهمُ كلام الله، فما خرجَ عن حَدِّ فَهْم كلامِه سبحانَهُ فإنه زائدٌ عن معنى البيانِ؛ لأنَّ الغايةَ من التَّفسيرِ معرفةُ المعنى الذي أراده الله من كلامِهِ، فما تَحْصُلُ به المعرفةُ فإنه بيانٌ وتفسيرٌ، وما عدا ذلك، فإنه توسُّعٌ حاصلٌ بعدَ هذا الفَهمِ والبيانِ.

وإذا تأمَّلتَ كثيراً من النِّكاتِ البلاغيَّةِ، والمُلَحِ التَّفسيريَّةِ، واللَّطائفِ اللُّغويَّةِ، وجدتَها تدخلُ في ما وراءَ البيانِ والفهمِ، فهي ليست من صُلْبِ التَّفسيرِ؛ لأن البيانَ لا يتوقفُ عليها، أمَّا إذا توقَّفَ البيانُ عليها فهي من التَّفسيرِ.

وإذا كان ذلك هو المنطلق في تعريفِ التَّفسيرِ، فإنَّ البيانَ قد يتحقَّقُ بمعرفةِ اللَّفظةِ الغريبةِ في الآيةِ، أو بمعرفةِ قصتِها وسببِ نزولِها، أو بمعرفةِ مكانِ نزولِها وفيمن نزلتْ، أو بمعرفةِ ما فيها من النَّسخِ بمصطلحِه العامِّ؛ كبيانِ مجملٍ، وتخصيصِ عامٍ، وتَقْييدِ مطلقٍ، ورفعِ حكمٍ شرعيٍّ، وغيرِها مما يعتريه إزالةٌ ورفعٌ.

والمقصودُ: أنَّ ما يقعُ به بيانٌ عن معنى الآيةِ، فإنه تفسيرٌ للقرآنِ، ودونك هذه الأمثلةُ، إذ بالمثالِ يتبيَّنُ المقالُ.

١ - في قولِه تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ} [التوبة: ٣٨].

إن أوَّلَ ما تحتاجُ إليه لِمعرفةِ تفسيرِ الآيةِ، معرفةُ لفظِ «النَّسِيء» في اللُّغةِ. فإذا عرفتَ أنَّ النَّسِيءَ: التأخيرُ، صارَ معنى الآيةِ: إنما التَّأخيرُ زيادةٌ في الكفرِ.

ولكن أيُّ تأخيرٍ هو المرادُ، وهذا يعني أنَّه لم يتمَّ البيانُ بمعرفةِ المدلولِ اللُّغويِّ وحدَه، لاحتياجِك إلى تحديدِ النَّسِيءِ المرادِ في الآيةِ، فإذا تَكَشَّفتْ لك قصةُ الآيةِ بما رُوي عن حبرِ الأمَّةِ ابن عباسٍ (ت:٦٨): أنَّ جُنَادَةَ بنَ عوفٍ بنَ أميةَ الكناني كان يوافي الموسمَ كلَّ عامٍ ـ وكانَ يُكْنَى أبا ثُمَامَةَ ـ فينادي: أَلاَ إنَّ أبا ثُمَامَةَ لا يُحَابُ (١) ولا يُعابُ، أَلاَ وإنَّ صفرَ العَامِ الأوَّلِ العَامَ حلالٌ. فَيُحِلُّهُ الناسُ، فيحرِّمُ صفرَ عاماً، ويحرِّم المحرَّمَ عاماً، فذلك قولُه: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} إلى قوله: {الْكَافِرِينَ} [التوبة: ٣٧] (٢) = تَبَيَّنَ لك المعنى المرادُ بالآيةِ، وهو أنَّ تأخيرَ الأشهرِ الحُرُمِ وإيقاعَها في أشهرِ الحِلِّ زيادةٌ في الكفرِ إلى كفرِهم، فَصِرْتَ في هذه الآية محتاجاً إلى معرفة معاني المفردات وقصةِ الآيةِ، والله أعلم.

٢ - في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى *وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: ١٤، ١٥]، قيلَ: المرادُ: زكاةُ الفِطرِ وصلاةُ العِيدِ.

وقيلَ: تَطَهَّرَ مِن الشِّركِ بالإيمانِ باللهِ، وصلَّى الصَّلواتِ الخمسَ. وهو قولُ ابنِ عباسٍ (ت:٦٨).

قال ابن الجَوْزِيِّ (ت:٥٩٧) (٣): «والقَولُ قولُ ابنِ عباسٍ في الآيتينِ، فإنَّ هذه السُّورةَ مكيَّةٌ بلا خلافٍ، ولم يكنْ بمكةَ زكاةٌ ولا عِيدٌ» (٤).

لعلَّكَ تلاحظُ في هذا المثالِ أثرَ معرفةِ المكيِّ والمدنيِّ في فَهمِ الآيةِ، فلأنَّ السُّورةُ مكيَّةٌ، لا يمكنُ القولُ بأنَّها نزلتْ بشأنِ زكاةِ الفطرِ وصلاةِ العيدِ المفروضتين في

المدينةِ، وأنَّ المرادَ بها هذا دونَ غيرِه، وإن كانتا تدخلانِ في معنى الآيةِ بالنَّظرِ إلى تعميمِ اللَّفظِ.

٣ - في قوله تعالى: {وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ} [الشورى: ٥]، إذا أخذتَ بالعمومِ في قولِه: {لِمَنْ فِي الأَرْضِ} جعلتَ الاستغفارَ حاصلاً للمؤمنين والكافرين. وبه قال بعضهم، وجعلَ استغفارَ الملائكةِ للكافرِ بمعنى طلبِ الهدايةِ له.

وقالَ آخرونَ: إنه عَامٌّ مخصوصٌ، وإنَّ المرادَ بمن في الأرضِ: المؤمنون. ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر: ٧] (١).

ومن هذين القولين يَتحصَّلُ أنَّ مَنْ جَعَلَ الآيةَ عامَّةً أو خاصَّةً، فقد وقعَ منهم بيانٌ له أثرٌ في فَهْمِ معنى الآيةِ، وإنْ اختلفتْ أقوالُهم في تفسيرها.

ومن ثَمَّ، فإنَّ أيَّ معلومةٍ لها أثرٌ في فهْمِ المعنى أو تَغيُّرِه، فإنها تفسيرٌ، أمَّا ما كانتْ معرفتُه غيرَ مُؤَثِّرَةٍ في معنى الآيةِ، فإنه خارجٌ عن معنى التَّفسيرِ، وهو من باب التَّوَسُّعِ في هذا العلمِ. والله أعلم.

وسأضربُ مثلاً يُبَيِّنُ أنَّ بعضَ المعلوماتِ الموجودة في التَّفسيرِ لا أثرَ لها في بيانِ الآيةِ، وهي خارجةٌ عن حدِّه، وزائدةٌ عليه، ومن ذلك ما وردَ في تفسيرِ قوله تعالى: {وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٣٥]، حيثُ اختلفَ المفسِّرونَ في تعيين الشَّجرةِ التي نُهِيَ آدمُ وزوجُه عن الأكلِ منها، فقيل: هي السُّنبلةُ، وقيلَ: الكَرْمَةُ، وقيلَ: التِّينةُ (٢).

والجهلُ بنوعِ الشَّجرةِ التي نُهِيَ عنها آدمُ وزوجُه، لا يؤثِّرُ في فهمِ المعنى، قال الطبري (ت: ٣١٠): «فالصوابُ في ذلك أن يقالَ: إنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه نهى آدمَ وزوجتَه عن أكلِ شجرةٍ بعينِها من أشجارِ الجنَّةِ دونَ سائرِ أشجارِها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جلَّ ثناؤه به. ولا علمَ عندنا بأيِّ شجرةٍ كانت على التَّعيينِ؛ لأنَّ اللهَ لم يضع لعبادِه دليلاً من القرآنِ، ولا في السنّةِ الصحيحةِ، فأنَّى يتأتي ذلكَ؟

وقد قيلَ: كانت شجرةَ البُرِّ، وقيلَ: شجرةَ العنبِ، وقيلَ: شجرةَ التِّينِ، وجائزٌ أن تكونَ واحدةً منها، وذلك عِلْمٌ، إذا عُلِمَ، لم ينفعِ العالِمَ به علمُه، وإن جَهِلَهُ جاهلٌ، لم يضرَّه جهلُه به» (١).

وعلى ذلكَ يجري كثيرٌ من مبهماتِ القرآنِ. إذ العلمُ بها لا يفيدُ معنىً، ولا بياناً في الآيةِ.

وبعد هذا التَّفصيلِ يُمكنُ القولُ بأنَّ التَّفسيرَ: بَيَانُ القرآن الكريم.

فخرجَ بالبيان: ما كان خارجاً عن حَدِّ البيانِ؛ ككثيرٍ من المسائلِ الفقهيَّةِ، والمسائلِ النَّحويَّةِ، ومبهماتِ القرآنِ، وغيرِها مِمَّا يُذْكَرُ في كُتبِ التَّفسيرِ، مِمَّا لا أثرَ له في التَّفسيرِ.

ويخرج بالقرآنِ: غيرُ كلامِ اللهِ سبحانَه، وكلامُه لملائكتِه، وكلامُه لرسلِه السَّابقينَ محمداً صلّى الله عليه وسلّم، والحديثُ القدسيُّ، والله أعلم.

AL- G/ H - M

٣٠ / ٩ / ٢٠٢١

==
==
================================

أهم علوم القرآن التي افردت بمادة مستقلة ...... الإعجاز

إعجاز القرآن :

إعجاز القرآن في الإسلام هو اعتقاد عند المسلمين ينص على أن القرآن له صفة إعجازية من حيث المحتوى والشكل، ولا يمكن أن يضاهيه كلام بشري.[1] ووفقًا لهذا الإعتقاد، فإن القرآن هو الدليل المعطى للنبي محمد ﷺ للدلالة على صدقه ومكانته النبوية. يؤدي الإعجاز غرضين رئيسين الأول وهو أثبات أصالة القرآن وصحته كمصدر من إله واحد. والثاني هو إثبات صدق نبوة محمد ﷺ الذي نزل عليه لأنه كان ينقل الرسالة. ظهر مفهوم إعجاز القرآن منذ اليوم الأول لقيام النبي محمد ﷺ بتبليغه للعرب حيث كان يبلغ من العمر آنذلك ٤٠ عامًا.

الإعجاز لغةً: مشتقٌ من عجزُ عجزاً، فهو عاجزٌ. أي: ضعيفٌ. والمعنى: ضعف عن الشئ، ولم يقدر عليه، ويقال أعجزني فلانٌ إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والإعجاز القرآني مصطلح يدل على: قصور الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بسورةٍ من مثلهِ.

وقد بين القرآن ما أصاب العرب عند سماعهم آياته لأول مرة . فبعضهم وصف النبي محمد ﷺ بأنه شاعر فأنزل الله تعالى في سورة يس: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾

وبعضهم قال أن النبي محمد ﷺ قد نقل هذا الكلام ممن سبقوه. يقول الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾

بينما اتهم بعضهم النبي محمد ﷺ بأنه ساحر يقول الله تعالي في سورة يونس: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾

وفقًا لصوفيا فاسالو وهي باحثة معاصرة في علم اللاهوت، فإن الأخبار التي وصلت إلينا عن طريقة تلقي العرب للقرآن وإصابتهم بالحيرة أمر بالغ الأهمية في النقاشات. تقول صوفيا " إن العرب لما سمعوا القرآن أحتاروا في محاولة تصنيف كلماته وتسائلوا: هل هذا شعر؟" "هل هذا سحر؟" "هل هو أساطير؟" لم يتمكن العرب من العثورعلى أي شكل أدبي يتوافق مع القرآن " [٢]

تأريخ الاعجاز :

كان للجاحظ وغيره من المفكرين والأدباء المسلمين تأثير في تشديدهم على فصاحة القرآن وبيانه مما جعل لفظة "الإعجاز" تزداد ارتباطا بما له من أسلوب بلاغي رفيع . غير أن بعضهم قالوا بأن فكرة الإعجاز يجب الا تفهم هذا الفهم الضيق ومنهم "إبراهيم النظام" الذي أدخل إلى النقاش الدائر بين العلماء فكرة "الصرفة" قائلا إن إعجاز القرآن الكريم يقوم على "أن الله صرف العرب عن معارضته بأن سلب علومهم به" ولم يقبل هذا الفكرة إلا قلائل.[٣]

واستمرت الكتابات عن الإعجاز منذ القرن الثالث الهجري لكن وجوه الإعجاز ظل مدار نقاش بين المفكرين المسلمين. كتب الكثير منهم في الإعجاز منهم أبو الحسن الرماني في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" وهو من أوائل المؤلفات التي وردت لفظة الإعجاز في عناوينها.[٣]

أما أبو سليمان الخطابي فرفض فكرة الصرفة في كتابه "بيان إعجاز القرآن" ورفض أن تكون أخبار المستقبل من وجوه الإعجاز واعتبر التأثير النفسي الذي للقرآن في النفوس مظهرا من مظاهر الإعجاز ووافقه في رأيه أبو بكر الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" على تفرد بلاغة القرآن وتميز أسلوبه .[٣]

أما القاضي عبد الجبار فيؤكد في كتابه "المغني في أبواب التوحيد والعدل" أن أسلوب القرآن المتميز هو وجه من وجوه إعجازه وأن هذه الفصاحة ناتجة من امتياز اللفظ والمعنى. أما عبد القاهر الجرجاني فله العديد من الأراء في الإعجاز وضعها في كتابيه "دلائل الاعجاز" و"أسرار البلاغة" منها أن الالفاض المفردة بحد ذاتها لا ميزة للواحدة منها على الاخرى وأن المعاني بحد ذاتها لا وجود لها بدون الالفاض ولذلك لا ينبغي الحكم على درجة بلاغتها مفردة بل مجتمعة في نظم. أما في كتب التفسير كما يقول فلم يأت من المفسرين من استعمل علوم البلاغة النامية في فهم نصه وإلقاء الضوء على إعجازه وجمال أسلوبه خير من الزمخشري في كتابه "الكشاف"." وجاء بعد الزمخشري"مؤلفون كثيرون لكنهم لم يزيدوا شيئا يذكر على مفهوم الاعجاز."[٣]

وفي القرن العشرين أعاد الإمام محمد عبده الدراسات إلى "البساطة المعقولة وبحث الإعجاز بشكل مختصر في كتابه "رسالة التوحيد" فابتعد عن التحليل المفصل لمسائل النحو والبلاغة في القرآن . وخصص مصطفى صادق الرافعي كتابا للإعجاز أسماه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" وفيه تحدث عن "العجز البشري عن محاولة المعجزة. واستمرار هذا العجز على مر العصور." وشدد عبد المتعال الصعيدي في كتابه "النظم الفني في القرآن" على النظر إلى القرآن ككل وعلى "علم ارتباط الايات".[٣]

أما سيد قطب فكتب العديد من المؤلفات في الإعجاز منها "التصوير الفني في القرآن" و"مشاهد القيامة في القرآن" و"في ظلال القرآن" أولى فيها النواحي الجمالية والبلاغية في أسلوب القرآن اهتماما كبيرا ورأى انه "يعبر بالصور المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية والمشهد المنظور."[٣]

أنواعه :

تتعدد أنواع الإعجاز القرآني وتتنوع لتشمل العديد من المواضيع فمنها:[٤]

- الإعجاز البياني، وهو قدرة القرآن الكريم على إيصال المعاني والرسائل المختلفة بوضوح وبلاغة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها.
- الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم بالحقائق العلمية المختلفة كعلوم الفضاء والبحار والجبال وغيرها والتي لم يكن ممكنا إدراكها في زمن نزول القرآن ولم يتم إثباتها إلا بالعلم الحديث
- الإعجاز التشريعي هو سمو ودقة التشريعات والمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم وتميزها عن ما دونها من التشريعات بطريقة يستحيل على البشر الإتيان بها.
- الإعجاز الغيبي ويُقصد به إشارة القرآن الكريم لأمور غيبية لها علاقة بالماضي أو الحاضر أو المستقبل يستحيل على البشر التنبؤ بها.

الإعجاز البياني:

ويسمى أيضا بالإعجاز البلاغي، ويعتبر أهم أنواع الإعجاز لأنه يتعلق باستخدام كلمات وعبارات القرآن الكريم وتركيب الجمل بحيث تكون واضحة ومفهومة ومختصرة حيث تظهر الفصاحة والبلاغة والبيان بصورة يفهمها القارئ ويظهر تأثيرها على السامعين. كان هذا الإعجاز أيضا هو التحدي الذي وجه إلى عرب الجاهلية الذين كانوا يمتازون بالفصاحة وبرز منهم العديد من أشهر الشعراء مثل امرؤ القيس وعنترة بن شداد وزهير بن أبي سلمى.[٥]

من الأمثلة على هذا النوع من الإعجاز هو استخدام القرآن الكريم لكلمتي "السنة" و "العام". يقول الله في سورة العنكبوت ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

في اللغة العربية فإن (السنة، والعام) تعبير زماني يُستخدم في حساب الأيام، حيث أن كل منهما يُعادل اثني عشر شهرًا. أما الفرق بينهما فهو أن كلمة "السنة" تستخدم للدلالة على مقدار التعب والمشقة، في حين تأتي كلمة "العام" للدلالة على الراحة والاسترخاء؛ لذا استخدم القرآن كلمة (سنة) في وصف السنين التي عاشها النبي نوح ومعاناته مع قومه في الدعوة إلى الله تعالى والتي استمرت ٩٥٠ سنة في حين أن المدة التي ارتاح فيها نوح كانت خمسين عام.[٦]

من الأمثلة أيضا على هذا النوع من الإعجاز ماذُكر في سورة يوسف، عندما طلب منه تفسير رؤيا الملك. يقول الله في سورة يوسف : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

حيث ذُكرت كلمة (سنين - جمع سنة) للدلالة على المشقة والتعب في الزراعة وسنوات الجفاف ثم ذكر القرآن كلمة (عام) وقرنها بجملة (يغاث فيه الناس وفيه يعصرون) والتي تعني ينزل عليهم المطر ويغيثهم.[٦][٧] يزخر القرآن الكريم بالمئات من هذا النوع من الإعجاز البلاغي .

كما تروي كتب التاريخ [٨] قصة الوليد بن المغيرة المعروف بعداءه الشديد للنبي محمد ﷺ والذي كان من أفصح العرب قولا وشعرا فقد شهد على بلاغة القرآن بعد أن سمع النبي محمد ﷺ مرة وهو يقرأ القرآن فعاد إلى قومه قائلا مقولته الشهيرة: «والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً؛ ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن؛ والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لَمُثمِر، وإنَّ أسفَلَهُ لَمُغدِق، وإنّه يعلو ولا يُعلى عليه»

الإعجاز العلمي:

ويعرف الإعجاز العلمي بأنه إخبار القرآن الكريم بحقيقةٍ علمية مشهودةٍ، ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل في زمن النبي محمد ﷺ . وهو إبراز الحقائق القرآنية التي أشارت إلى الحقائق الكونية المتعلقة بالآفاق والأنفس، والتي جاء العلم الحديث موافقاً لها.

حثَّ القرآن الكريم في كثير من آياته الناس على النظر والتدبر، وأمرهم بالنظر في هذا الكون وما فيه من آيات، لكي يقودهم هذا النظر إلى الإيمان بالله سبحانه وتوحيده وعبادته من خلال عدة آيات يمكن اعتبارها أساساً وأصلاً للإعجاز العلمي. يقول الله في سورة فصلت: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

الإعجاز التشريعي:

ومعناه أن القرآن الكريم قد راعى درجات البَشَرِ في العقل والفهم، وعلوِّ الهمَّة وضَعْفِها، فالقطعيُّ منه هو العامُّ، وغيرُ القطعي يتفاوت فيه الفهم، وهذا ما فعله النبي محمد ﷺ مع أصحابه عندما نزلت آية الخمر والميسر في سورة البقرة الدالَّة على تحريمهما دلالة ظنِّيَّة، فتركها بعضهم دون بعض، فأقرَّ النبي محمد كلاًّ على اجتهاده، إلى أن نزلت آيتا المائدة بالتحريم القطعي؛ ولذلك قال الله :﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ فالفرائض الدينيَّة والمحرَّمات الدينيَّة العامَّة لا يثبتان إلاَّ بنصٍّ قطعي يفهمه كلُّ الناس.[٩]

مخطوطة للقرآن عثر عليها في جامعة بيرمنغهام . وهي أحد أقدم مخطوطات القرآن اليوم

الإعجاز التشريعي هو إثبات عجز البشر جميعاً أفرادا وجماعاتً عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن من تشريعات وأحكام، تتعلق بالفرد والأسرة والمجتمع. ومن مميزات هذا الإعجاز هو الربانية، الشمول، العدل، اليسر، رفع الحرج، الدوام، رعاية مصالح البشر، التوازن بين المادة والروح، الكمال، والتوسط والإعتدال.[١٠]

من الأمثلة على هذا النوع من الإعجاز هو آية الدَّيْن. يقول الله في سورة البقرة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾

حيث دعا الإسلام إلى كتابة الدَّيْن والإشهاد عليه، ولكي يَعْلَمَ الدائن والمدين أو وَرَثَتهم حقوقَهم وواجباتهم نحو بعضهم البعض، لأن مرور السنين مدعاة للنسيان، كما يُؤدّي عدم كتابة الدَّيْن إلى التنازُع، وإنكار المَدين الحقّ المتوجّب عليه نحو الدائن كما يحصل اليوم عند بعض الناس .واشترط الإسلام أن يكتب وثيقة الدَّيْن كاتِبٌ عالِمٌ بشروط العقود وتوثيقها وبأحكام الشريعة، وخبيرٌ بمعاملات الناس، وأن يتحرَّى العَدْل بين الطرفيْن بأن لا يَزيد ولا يُنقص في الدَّيْن الذي يكتبه، وفي هذا دعوة إلى أنه ينبغي أن يكون من بين الناس كتابٌ مُتَخصِّصون للقيام بهذه المهمة، وهو ما يعرف اليوم (بكتاب العَدْل) وهذه التسمية مقتبسة أصلا من النصّ القرآني.[١١]

ولا يكتفي القرآن بالدَّعْوة إلى كتابة الدين بل يدعو أيضاً إلى الإشهاد عليه زيادةً في التوثيق وحِرْصاً على حِفْظ الحقوق من النُّكران وذلك بطلب رَجُلَيْن شاهِدَيْن عَدليْن، فإذا تعذر وجودهما فليقم مقامهما رَجُلٌ وامرأتان من الذين يُرتضى وضعهم الاجتماعي وسيرتهم الحَسَنة ويقولون الحق. والحكمة في أن المرأتيْن تقومان مقام رجل واحد في الشهادة هي خشية أن تخطئ أو تنسى إحداهما، فتذكرها الأخرى، والسبب في خطئها أو نِسيانها هو قِلة ممارسة المرأة عادة للشؤون المالية، أما اشتغال النساء في هذا العصر بالمسائل المالية فلا يُغيِّر الحكم، لأنَّ الأحكام إنما هي للأغلب.[١١]

الإعجاز الغيبي:

يطلق الإعجاز الغيبي على إخبار ما غاب عن النبي محمد ﷺ وقومه مما لم يشهدوه من حوادث وقعت، أو لم يحضروا وقتها، فلم يكونوا على علم بتفاصيلها، وهو يشمل غيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل.[١٢]

ومن الأمثلة على هذا النوع من الإعجاز هو الإخبار عن انتصار الروم على الفرس بعد أن كان الفرس قد هزموا الروم . جاء في سورة الروم: ﴿ الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ ﴾

وأصل الحادثة أن الفرس انتصروا على الروم، فحزن المسلمون لأن الروم أهل كتاب بينما الفرس هم عبدة أوثان، فشَمَتَ كُفَّار مكَّة في النبي محمد ﷺ وأصحابه، فأنزل الله الآيات السابقة تحدِّيًا للعرب وبُشْرَى للمؤمنين. وتندرج هذه الأحداث تحت مفهوم الإعجاز الغيبي بالإخبار عن المستقبل وهذه الإخبارات الثلاثة هي:

- الإخبار بهزيمة الروم للفرس في بضع سنين.
- الإخبار بأن يوم هزيمة الفرس سيكون يوم فرح للمسلمين وهذا اليوم وافق اليوم الذي انتصر فيه المسلمون في معركة بدر .
- الإخبار بالمكان الذي سيُهزمون فيه وهو (أدنى الأرض).

AL- G / H - M

٣٠ / ٩ / ٢٠٢١

==
==
================================

أهم علوم القرآن التي افردت بمادة مستقلة ...... القصص القرآني

- **قصص القرآن:**

- الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس، والموعظة الخطابية تسرد سردًا لا يجمع العقل أطرافها ولا يعي جميع ما يلقى فيها، ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح أهدافها، ويرتاح المرء لسماعها، ويصغي إليها بشوق ولهفة، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنًّا خاصًّا من فنون اللغة وآدابها، والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل، ويصوره في أبلغ صورة: قصص القرآن الكريم.

معنى القصص:

القص: تتبع الأثر. يقال: قصصت أثره: أي تتبعته، والقصص مصدر، قال تعالى: {ارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً} ١، أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال على لسان أم موسى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ} ٢، أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه. والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} ٣، وقال: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} ٤، والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.

وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة - وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

أنواع القصص في القرآن:

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

فوائد قصص القرآن:

وللقصص القرآني فوائد نجمل أهمها فيما يأتي:

١- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} ١.

٢- تثبيت قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنُصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله: {وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} ١.

٣- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

٤- إظهار صدق محمد -صلى الله عليه وسلم- في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

٥- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهُدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ٢.

٦- والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} ٣.

تكرار القصص وحكمته:

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن ، وتُعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك. ومن حكمة هذا:

١- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها. فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتُصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

٢- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

٣- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام. كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون؛ لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

٤- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

أسوق بعض أمثلة، توضح مرامي كاتب هذه الرسالة وكيفية بنائها" ثم أورد الأستاذ "أحمد أمين" أمثلة منتزعة من الرسالة تشهد بما وصفها به من هذه العبارة المجملة١. كادعاء صاحب الرسالة أن القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي. وإنما تتجه كما يتجه الأديب في تصوير الحادثة تصويرًا فنيًّا، وزعمه أن القرآن يختلق بعض القصص وأن الأقدمين أخطئوا في عد القصص القرآني تاريخًا يعتمد عليه.

والمسلم الحق هو الذي يؤمن بأن القرآن كلام الله، وأنه منزه عن ذلك التصوير الفني الذي لا يعنى فيه بالواقع التاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة، والأساليب الرائعة.

ولعل صاحب الرسالة درس فن القصة في الأدب، وأدرك من عناصرها الأساسية الخيال الذي يعتمد على التصور، وأنه كلما ارتقى خيالها ونأى عن الواقع كثر الشوق إليها، ورغبت النفس فيها، واستمتعت بقراءتها، ثم قاس القصص القرآني على القصة الأدبية.

وليس القرآن كذلك، فإنه تنزيل من عليم حكيم، ولا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقًا للواقع، وإذا كان الفضلاء من الناس يتورعون من أن يقولوا زورًا ويعدونه من أقبح الرذائل المزرية بالإنسانية، فكيف يسوغ لعاقل أن يلصق الزور بكلام ذي العزة والجلال؟

والله تعالى هو الحق: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} ٢.

وأرسل رسوله بالحق: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً} ٣.

{وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ} ١.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ} ٢.

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} ٣.

{وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ} ٤.

وما قصه الله تعالى في القرآن هو الحق: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ} ٥.

{نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ} ٦.

القصة في القرآن حقيقة لا خيال:

ومن الجدير بالذكر أن أحد الطلاب الجامعيين في مصر قدم رسالة لنيل درجة "الدكتوراه" كان موضوعها: "الفن القصصي في القرآن"١، أثارت جدلًا طويلًا سنة ١٣٦٧ هجرية، وكتب عنها أحد أعضاء اللجنة الذين اشتركوا في مناقشة الرسالة -وهو الأستاذ أحمد أمين- تقريرًا بعث به إلى عميد كلية الآداب، ونشر في مجلة "الرسالة" وقد تضمن التقرير نقدًا لاذعًا لما كتبه الطالب الجامعي، وإن كان أستاذه المشرف قد دافع عنه. وصدر الأستاذ "أحمد أمين" تقريره بالعبارة الآتية:

"وقد وجدتها رسالة ليست عادية، بل هي رسالة خطيرة، أساسها أن القصص في القرآن عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ. والواقع أن محمدًا فنان بهذا المعنى"، ثم قال: "وعلى هذا الأساس كتب كل الرسالة من أولها إلى آخرها، وإني أرى من الواجب أن **أثر القصص القرآني في التربية والتهذيب:**

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف - وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر لا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير والثمار.

والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة وشدة. وإلى أمد قصير. ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعًا، وأكثر فائدة.

والمعهود -حتى في حياة الطفولة- أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يُروى له، فيحاكيه ويقصه.

هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم، لا سيما التهذيب الديني، الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه.

وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين وسُنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم. ولا تقول في ذلك إلا حقًّا وصدقًا.

ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم. وقد نجحت مجموعة القصص الديني للأستاذين "سيد قطب، والسحار" في تقديم زاد مفيد نافع لصغارنا نجاحًا معدوم النظير، كما قدم "الجارم" القصص القرآني في أسلوب أدبي بليغ أعلى مستوى، وأكثر تحليلًا وعمقًا، وحبذا لو نهج آخرون هذا النهج التربوي السديد.

AL- G/ H - M

٢٠٢١ /٩ /٣٠

==
==
==================================

المحكم والمتشابه :

تعريف المحكم والمتشابه لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف مفهوم المحكم والمتشابه لغة:

تعريف المحكم لغة :

قال ابن فارس في مقاييس اللغة: (ح ك م) الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكَمة الدّابة لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدّابّة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه.. والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل.

ويدخل فيه معنى الإتقان يقال: أحكم الأمر، أتقنه. ويقال: أحكم الرأي: أتقنه ومنعه من الفساد. لأن المنع من الفساد يؤدي إلى الإتقان.

والقرآن الكريم: بهذا المعنى اللغوي محكم كله، أي: متقن ممتنع عن النقص والخلل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: (الر كتَاب أُحِكَمْت آياتُهُ ثُم فصلَت ِمن لَدُن حِكيم خِبير). (هود:١)

تعريف المتشابه لغة:

قال ابن فارس في مقاييس اللغة: (ش ب ه) الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا. يقال ِشبه و َشَبه َو َشبيه. والّشبه من الجواهر: الي يشبه الذهب. والمشبّهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران، إذا أشكلا.

وهو نوع من المماثلة حيث توجد مطابقة من وجه ومخالفة من وجه آخر، ومنه في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى وصفا لرزق الجنّة: ﴿وأتوا به متشابها﴾ (البقرة: ٢٥)، ومنه قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ (البقرة: ٧٠).

ثانيا: تعريف مفهوم المحكم والمتشابه اصطلاحا:

تعريف المحكم اصطلاحا:

المحكم اصطلاحا في القرآن الكريم على قسمين:

- محكم عام.
- محكم خاص.

فالمحكم العام: إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، والرشد من الغي في أوامره.

والمحكم الخاص: هو الفاصل بين الأمرين بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر.

تعريف المتشابه اصطلاحا:

المتشابه اصطلاحا في القرآن الكريم على قسمين:

- متشابه عام.
- متشابه خاص.

فالمتشابه العام: هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا.

والمتشابه الخاص: هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله.

وأساس التفرقة بينهما هو أنه وردت آية تنعت القرآن -كل القرآن- بأنه محكم، وآية تنعت القرآن -كل القرآن- بأنه متشابه، وآية تنعت القرآن بأنه منه المحكم والمتشابه. وبما أننا نعلم أن القرآن منّزه عن التناقض، فإننا نجزم أن هذه الآيات لا تناقض فيها، بل لكل آية معنى سديد ودقيق يلحظ بالتأمل والتمحيص والتحقيق.

فالآية القرآنية (الر كتاب أُحكمت آياته ثم فصلَت من لَدن حكيم خبِير)، تفيد إحكام القرآن كله آية آية، سورة سورة، وتكاد كلمة المفسرين تجمع على أَن معنى أحكمت آياته: نظمت تنظيما رصينا لا نقص ولا خلل فيها كالبناء المحكم.

أما الآية الثانية: (ٱللَّه نزل أَحسن ٱلْحديث كتبا متشبها مثانى) الزمر:٢٣، فتفيد أن آيات القرآن يشبه بعضها بعضا، في الإحكام والإتقان، فلا يستطيع أحد المفاضلة والتمييز بين آية وأخرى، للتماثل في البلاغة والهداية.

وأما الآية الثالثة: فقد تقابل فيها الإحكام والتشابه، وجعل كلا منهما نعتا لبعض الآيات دون بعض.

ثالثا: الفرق بين المحكم والمتشابه وشواهدهما من القرآن:

قد وقف العلماء مواقف متباينة من تعريف المحكم والمتشابه المقصود بقوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات).

فقيل: المحكم ما كان واضح الدلالة ويدخل فيه النص والظاهر والمتشابه ما التبس المراد منه أو اشتبهت دلالته على كثير من الناس ويدخل فيه المجمل والمشترك والمؤول.

وقيل: المحكم ما عرف تأويله وفُهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل؛ أي مما استأثر الله بعلمه.

وقيل: المحكم ما لا يحتمل إلا وجها واحدا، والمتشابه ما يحتمل وجوها، وقيل غير ذلك.

وخلاصة أقوالهم: أن في القرآن آيات محكمات واضحات الدلالة، بينات المعنى، لا تحتاج إلى غيرها لبيان مفهومها ومضمونها، وهذه هي أم الكتاب وأصله الذي يجب أن يردّ إليه ما سواه ليفهم في ضوئه.

وهناك آيات متشابهات: إما تشابها كليا حقيقيا فلا يمكن أن يعلمها إلا الله ولا يحاول أن يعرف حقيقتها إلا الذين في قلوبهم زيغ وانحراف، وإما تشابها جزئيا إضافيا وهذا هو أكثر المتشابه وهو الذي يعلمه الراسخون برده إلى المحكمات التي هي الأصل.

ويمثلون للمحكم في القرآن بناسخه كما في قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا تقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) البقرة ٢٧٨

الذي نسخ ما كان نهيا جزئيا عن الربا الفاحش في قوله تعالى: (يأيها الذين آموا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون). آل عمران ١٣٠

وبحلاله وحرامه كما في قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة). وبحدوده وفرائضه ووعده ووعيده، إلى غير ذلك من الآيات المحكمات البينات بنفسها، والدّالة على معناها بوضوح، فلا يعرض لها شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى.

أما المتشابه فيمثلون له بمنسوخه كما هو مشار إليه أعلاه، وبكيفيات أسماء الله وصفاته التي في قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)، (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا)، وقوله جل في علاه: (على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين)، يد الله فوق أيديهم)، وقوله عز من قائل: (وألقيت عليك محبة مني)، وقوله تعالى: (وهو معكم أين ما كنتم)، إلى غير ذلك من الشواهد القرآنية، ويمثلون للمتشابه أيضا بأوائل السور المفتتحة بحروف المعجم، وحقائق اليوم الآخر، وعلم السّاعة ....

رابعا: منشأ التشابه وأقسامه:

قال الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان: منشأ التشابه إجمالا هو خفاء مراد الشارع من كلامه، أما تفصيلا فنذكر أن:

- منه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ.
- ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى.
- ومنه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ والمعنى معا.

١- ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ:

فالقسم الأول: وهو ما كان التشابه فيه راجع إلى خفاء في اللفظ وحده، منه:

- مفرد.
- مركب.

المفرد: قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة غرابته أو من جهة الشراكة.

المركب: قد يكون الخفاء فيه ناشئا من جهة اختصاره. أو من جهة بسطه أو من جهة ترتيبه.

مثال التشابه في المفرد بسبب غرابته وندرة استعماله:

مثال التشابه في المفرد بسبب غرابته وندرة استعماله، لفظ: الأبّ بتشديد الباء في قوله سبحانه: "وفاكهة وأبّا" (عبس: ٣١) وهو ما ترعاه البهائم بدليل قوله بعد ذلك: "متاعا لكم ولأنعامكم"(عبس: ٣٢).

مثال التشابه في المفرد بسبب اشتراكه في معان عدة:

ومثال التشابه في المفرد بسبب اشتراكه في معان عدة، لفظ اليمين في قوله سبحانه: (فراغ عليهم ضربا باليمين) (الصافات: ٩٣) أي: فأقبل إبراهيم على أصنام قومه ضاربا لها باليمين من يديه لا بالشمال، أو ضاربا لها ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين، أو ضاربا لها بسبب اليمين التي حلفها ونوه بها القرآن إذ قال : (و تالله لأكيدن أصنامكم بعد لأن تولوا مدبرين) الأنبياء:٥٧ كل ذلك جائز، ولفظ اليمين مشترك بينها.

مثال التشابه في مركب بسبب اختصاره:

ومثال التشابه في مركب بسبب اختصاره، قوله تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء). (النساء: ٣) فإن الخفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه، والأصل: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من الناس.

ومعناه: أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن فأمامكم غيرهن فتزوجوا منهن ما طاب لكم.

وقيل: إن القوم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى فأنزل الله الآية.

ومعناه: إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى أيضا وتَبدلوا به الزواج الذي وسع الله عليكم فيه فانكحوا ما طاب لكم من النساء، مثنى وثلاث ورباع.

مثال التشابه يقع في المركب بسبب بسطه:

ومثال التشابه يقع في المركب بسبب بسطه، قوله جلت حكمته: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى:١١) سر زيادة الكاف في الآية هو أن تُساق الدعوى مع برهانها، ألا ترى أنك إذا أردت أن تنفي عن امرئ نقيصة في خلقه فقلت: (فلان لا يكذب ولا يبخل) أخرجت كلامك عنه مخرج الدعوى المجردة عن دليلها.

فإذا زدت فيه كلمة فقلت: (مثل فلان لا يكذب ولا يبخل) لم تكن بذلك مشيرا إلى شخص آخر يماثله مبرأ من تلك النقائص، بل كان هذا تبرئة له هو ببرهان كلي، وهو أ ّن من يكون على مثل صفاته و ِش َي ِمه الكريمة لا يكون كذلك، لوجود التنافي بين طبيعة هذه الصفات وبين ذلك النقص الموهوم.

على هذا المنهج البليغ وضعت الآية الكريمة التي تقديرها: (مثله تعالى لا يكون له مثل)، تعني أن من كانت له تلك الصفات الحسنى وذلك المثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه، ولا يتسع الوجود لاثنين من جنسه. فلا جرم جيء فيها بلفظين، كل واحد منها يؤدي معنى المماثلة؛ ليقوم أحدها ركنا في الدعوى، والآخر دعامة لها

وبرهانا. فالتشبيه المدلول عليه (بالكاف) لما تصوب إليه النفي تأدّى به أصل التوحيد المطلوب، ولفظ (المثل) المصرح به في مقام لفظ الجلالة أو ضميره نبَّه على برهان ذلك المطلوب بنقض فرض التعدد من أساسه.

مثال التشابه يقع في المركب لترتيبه ونظمه:

ومثال التشابه يقع في المركب لترتيبه ونظمه، قوله جل ذكره: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) (الكهف:١).

فإن الخفاء هنا جاء من جهة الترتيب بين لفظ (قيّما) وما قبله. ولو قيل: أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له ِعوجا، لكان أظهر أيضا.

والقسم الثاني: هو ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء المعنى وحده: مثاله كل ما جاء في القرآن الكريم نعتا لله تعالى أو نعتا لأهوال القيامة أو لنعيم الجنّة وعذاب النّار، فإن العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق، ولا بأهوال القيامة، ولا بنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، وكيف السبيل إلى أن يحصل في نفوسنا صورة ما لم نُ ِح ّسه، وما لم يكن فينا مثله ولا جنسه؟

القسم الثالث: وهو ما كان التشابه فيه راجعا إلى اللفظ والمعنى معا، له أمثلة كثيرة منها: قوله عز اسمه: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) (البقرة: ١٨٩) فإن من لا يعرف عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع أن يفهم هذا النص الكريم على وجهه. ورد أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من الباب. فإن كان من أهل المدر نَقَب نقباً في ظهر بيته يدخل ويخرج منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء، فنزل قول الله: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون). البقرة: ١٨٩.

فهذا الخفاء الذي في هذه الآية يرجع إلى اللفظ بسبب اختصاره، ولو ُبسط لقيل: وليس البر بأن تاتوا البيوت من ظهورها

إذا كنتم محرمين من حج أو عمرة. ويرجع الخفاء إلى المعنى أيضا، لأن هذا النَّص على فرض بسطه كما رأيت لابد معه من معرفة عادة العرب في الجاهلية وإلاَّ لتعذَّر فهمه.

خامسا: الحكمة من ذكر المتشابه:

وقد يسأل سائل بعد ذلك: لماذا جعل الله في كتابه (المتشابه) ولماذا لم يجعله كله (محكما)؟ والجواب على ذلك يكون بإيراد حكم ثلاثة أحسبها كافية وشافية في تفسير هذه الظاهرة في كتاب الله تعالى:

أولها: بيان عظمة العلم الإلهي:

أي أنك مهما بلغت من العلم فلن تصل إلى أن تحيط به، فآيات الكتاب المتلو كآيات الكتاب المجلو؛ كما أن في هذا غيوب لا يمكن أن تقف عليها، قال تعالى فيها: (ولله غيب السماوات والّرض). فكذلك في كتاب الله المتلو آيات غير مقطوع على مغيبها: احتملت واحتملت حتى كانت المحتملات فيها على سواء.

ففي القرآن ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، ولكن الحقيقة ليست كالحقيقة، فأسماء الله وصفاته وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في اللفظ والمعنى الكلي إلاّ أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته، والعلماء المحققون يفهمون معانيها ويميزون الفرق بينها، وأما نفس الحقيقة فهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) (طه: ٥) قالوا: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة). وكذلك الشأن بالنسبة إلى إخبار الله عن اليوم الآخر، ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدينا إلا أن الحقيقة غير الحقيقة، ففي الآخرة ميزان، وجنّة ونار، وفي الجنّة (أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه، وأنهار من خمر لذّة للشّاربين، وأنهار من عسل مصفى) محمد: ١٥، وذلك نعلمه ونؤمن به، وندرك أن الغائب أعظم من الشاهد، وما في الآخرة يمتاز عما في الدّنيا، ولكن حقيقة هذا الالتزام غير معلومة لنا، وهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

فوائد المتشابه في القرآن الكريم:

فالمتشابه في القرآن من فوائده -إذن- هذا اللون من ألوان الامتحان: امتحان العقل الذي مهما حصل ومهما أدرك فإنه يقف أمام موضوعات الغيب في الكتاب مشدوها عاجزا، إذ لا يسعه آنئذ سوى أن يسلم في اطمئنان قلبي استنادا إلى ما تقدّم له من فهم المحكمات وتقديم الأمّهات، حتى إذا حصل له اليقين ورسخ العلم لم يبال بما أشكل عليه، وتبقى كلمة (الله أعلم) حاسمة في مثل هذه المقامات.

وعلى العكس من ذلك، فمن لم يكن على يقين من المحكمات، وفي قلبه شك واسترابة، كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) (آل عمران: ٧)

ولما خص أهل الزيغ باتباع المتشابه دل التخصيص على أن الراسخين لا يتبعونه. فأما المتشابه فإما أن يردّوه إلى المحكم، إن أمكن حمله عليه بمقتضى القواعد، وذلك في المتشابه الإضافي النسبي لا الحقيقي، وهو الذي يحتمل أكثر من وجه، وليس في الآية ن ٌّص على موقف ال ّراسخين منه، فليرجع عندهم إلى المحكم الذي هو أم الكتاب.

وأما المتشابه الحقيقي وهو الذي لا يعلم تأويله وحقيقته إ ّلا الله فموقفهم منه هو التّسليم حيث: (يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (آل عمران :٧)، وهؤلاء هم أولو الألباب.

وبهذا يتبيّن أن الراسخين في العلم لا يتّبعون المتشابهات المحتملات، ولا يجعلونها عمدتهم، وإنّما عمدتهم المحكمات الواضحات، وهن أم الكتاب ومعظمه.

ثانيها: إبراز كون القرآن شريعة دائمة:

وذلك يقتضي تعويد حملة هذه الشريعة وعلماء هذه الأمة بالتنقيب والبحث واستخراج الاحكام من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات الأمة صالحة لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع. وإنه لمن فضل الله على الناس أن أحكم لهم أصول الدين التي لا يقع الاختلاف في فهمها سلامة لوحدة الأمة الإسلامية وصيانة لكيانها: {كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون} (فصلت: ٣).

وقد تأتي هذه الأصول الدينية في أكثر من موضع بالقرآن مع اختلاف اللفظ والعبارة والأسلوب إلا أن معناها يكون واحدا، فيشبه بعضها الآخر ويوافقه معنى دون تناقض، أما ما عدا تلك الاصول من فروع الدين فإن من آياتها من العموم والاشتباه ما يفسح المجال أمام المجتهدين الراسخين في العلم حتى يردوها المحكم ببناء الفروع على الاصول والجزئيات على الكليات وإن زاغت بها قلوب أصحاب الهوى وبهذا الإحكام في الاصول والعموم في الفروع كان الاسلام دين الانسانية الخالد الذي يكفل لها خير الدنيا والآخرة على مر العصور والأزمان.

ومن المقرر لدى علماء الشريعة ان كل دليل فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل على الحقيقة حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه ويشترط في ذلك ألا يعارضه قطعي. فإذا لم يظهر معناه لإجمال، أو اشتراك، أو عارضه قطعي، فليس بدليل إلا إذا فكت جهة اشتباهه أو إشكاله؛ وذلك إما يكون ببيان المجمل أو تخصيص العموم أو تقييد المطلق أو تفصيل ما لم يفصل أو تكميل ما لم يظهر تكميله.

وعليه، فإن أهل العلم في الأمة بقدر إعمالهم للاجتهاد في فهم النصوص يتفاضل بعضهم على بعض وتظهر مزية البارع منهم في صناعة الاستنباط والاستدلال أما لو كان كتاب الله تعالى مكشوفا ظاهرا يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر، وإن البحث والنظر الذي اقتضته معرفة القرآن الكريم دعا الناس إلى البحث في علوم عديدة، وبالتالي حصلت لهم معارف كثيرة وانقدحت لذلك الأفكار وتعدّدت الآراء فحصلت بذلك فوائد ما بعدها فوائد.

ثالثها: الإلماح والإلماع إلى عالمية الرسالة:

هذه الرسالة التي ما جاءت سوى لهداية الناس كافة؛ وذلك بإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان الى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة. لهذا ُبعث الرسل والأنبياء، وعلى هذا ينبغي أن تكون الأمة الخاتمة من بعد الرسل.

بل من أجل ذلك كانت شريعة الإسلام قائمة على اليسر والسماحة، لتسع بذلك الناس جميعا أسودهم وأحمرهم وأبيضهم.

وإن من عرف طبيعة البشر، وتنوع أصنافهم، لعلم مزية الشريعة في هذه الناحية وغيرها من النواحي؛ لأن الناس فيهم الظاهري الذي يقف عند حرفية النص، وفيهم المقاصدي الذي يهتم بروح النص، ولا يكتفي بظاهره، فيهم من يسلم وفيهم من يؤول، فيهم العقلاني وفيهم الوجداني... وبما أن الخطاب القرآني كان للناس جميعا، اقتضت حكمة الله تعالى ان يسعهم خطابه، ولكن بعد بحث وجهد منهم، أو بعد مراجعة أهل العلم فيهم إن كان ينقصهم العلم وذلك حتى يرتقوا ويتزكوا في الدنيا ثم ُيثابوا في الآخرة .....

AL- G/ H - M

٢٠٢١ /٩/٣٠

==
======================================

الناسخ والمنسوخ:

تعريف النسخ لغة واصطلاحا

تعريف النسخ لغة

النسخ لغة: قال ابن فارس في مقاييس اللغة: (ن س خ): أصل واحد، إلا أنه مختلف في قياسه. قال قوم: قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه. وقال آخرون: تحويل شيء إلى شيء. فقالوا: النسخ: نسخ الكتاب، والنسخ: أمر كان يعمل به من قبل ثم ينسخ بحادث غيره، وكل شيء خلف شيئا فقد انتسخه.

معاني النسخ في المعاجم

للنسخ في المعاجم معنيان:

أولا: بمعنى الإزالة: ومن ذلك قولهم: نسخت الشمس الظلّ، إذا أزالته، أي: أذهبت الظلّ و حلّت محله، و نسخ الشيب الشباب، إذا أزال سواد الشعر و حلّ محله بياضه، فهنا الإزالة بعوض أو بديل.

وقد تَكون الإزالة من غير عوض كقولهم: نسخت الريح الأثر، أي: أزالته ولم تحل مكانه، بل ذهبت هي أيضا، فلم يبق ريح ولا أثر، وبمعنى الإزالة ورد قوله تعالي: (ما ننسخ من آية أو ننسيها نأت بخير منها أو مثلها) ... البقرة:١٠٦.

ثانيا: النسخ بمعنى النقل، أي: نقل الشيء من موضع إلى موضع ومن ذلك قولهم: نسخت الكتاب، أي: نقلت ما فيه، ومن هذا المعنى قوله تعالى: (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) الجاثية:٢٩.

تعريف النسخ اصطلاحا

النسخ اصطلاحا: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

ما يستفاد من هذا التعريف:

١- أن يكون الحكم المنسوخ شرعيا، فلا ينطبق ذلك في رفع الأحكام المبنية على البراءة الأصلية، أو العادات والأعراف الجاهلية، أو الأحكام العقلية، هذا ما يفيده رفع الحكم الشرعي.

٢- أن يكون الناسخ شرعيا كذلك، فالشرع لا ينسخ إلا بالشرع، فلا بصح أن يكون العقل ناسخا لحكم الشرع، كما هي الحال الأن في أفة المفتونين الذين ينسخون الأحكام الشرعية و فقا لمقتضيات العقل، مؤولين ذلك بالمصالح والمنافع.

٣- أن يكون الناسخ متراخيا عن المنسوخ، فإذا كان الخطاب المرفوع حكمه مقيدا بوقت معين كقوله تعالى: ثم أتموا الصيام إلى الليل...[البقرة:١٨٧]. فإن الحكم ينتهي بانتهاء وقته، فلا يقال لهذه الغاية الدالة على انتهاء الحكم: إنها نسخ، وذلك لاتصالها بدليل الحكم الأول، وهكذا يقال في كل حكم مؤجل بأجل، إذ لا يعني انتهاء أجله أنه نسخ.

مشروعية النسخ

جاءت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة بيّنة واضحة تدل على جواز النسخ ووقوعه.

دليل مشروعية النسخ من الكتاب

أما الكتاب: فقوله تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسيها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) البقرة:١٠٦

يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله: ما ننسخ من آية أي: ما نبدل من حكم آية فنغيره، وذلك بأن يحول الحلال حراما والحرام حلالا، والمباح محظورا، والمحظور مباحا، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، والحصر والإطلاق، والمنع والإباحة.. فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ. أمت قوله: أو ننسيها فمعناه نتركها فلا نبدلها. و أنا قوله: نأت بخير منها أو مثلها فمعناه: نأت بحكم خير لكم من حكم الآية التي نسخناها، ولا شكّ أن الخيرية تتحقق بالنسبة للناس في الدنيا، إذا كان الحكم الجديد أو الناسخ أخف من الحكم المنسوخ، وتتحقق أيضا إذا كان فضلا بالنسبة للأخرة حيث إن الثواب أجزل.

والدليل الثاني: قوله تعالي: (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) [النحل:١٠١].

قال زمخشري: تبديل الآية مكان الآية هو النسخ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح، والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد، فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته، وهذا معنى قوله: والله أعلم بما ينزل.

دليل مشروعية النسخ من السنة

أما السنة: فقد دل قوله صلى الله عليه وسلم على جواز النسخ فقد صح الحديث: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزروها". وليس معنى الحديث إلا القول بجواز زيارتها بعد النهي عن ذلك، والنسخ لا يعني أكثر من ذلك، أن يحول الحرام حلالا، والمحظور مباحا على حد قول ابن جرير الطبري.

دليل مشروعية النسخ من الإجماع .... أما إجماع الصحابة: فقد انعقد على أن الشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع السابقة، وانعقد إجماعهم على نسخ وجوب الوصية للوالدين والأقربين بأية المواريث، فأجماعهم على ذلك دليل شرعي على النسخ.

المنكرون للنسخ :

يقول ابن كثير:(والذي يحمل على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد، فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله، لأنه يحكم ما يشاء، كما أنه يفعل ما يريد، مع أنه وقع ذلك في كتبه المتقدمة، وشرائعه الماضية، كما أحل لأدم تزويج بناته من بنيه، ثم حرم ذلك، وكما أباح لنوح-بعد خروجه من السفينة- أكل جميع الحيوانات، ثم نسخ حل بعضها، وكان نكاح الأختين مباحا لإسرائيل وبنيه، وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها، وأمر بنو إسرائيل بقتل من عبد العجل منهم، ثم رفع عنهم القتل، كيلا يستأصلهم- وبقوا أحياء يذيقون البشرية ألوانا من أحقادهم - ولله في ذلك حكمة وأشياء كثيرة يطول ذكرها وهم يعترفون بذلك ويصدفون عنه).

وقد أنكر أهل الكتاب -اليهود والنصارى - وقوع النسخ وجوازه وزعموا أن النسخ يستلزم البداء، ومعنى البداء لغة الظهور بعد الخفاء، وقالوا: لو جاز النسخ على الله تعالى لكان إما لحكمة ظهرت له بعد أن لم تكن ظاهرة، أو لغير حكمة، وكلا الأمرين باطل، لأن الأول بداء، والثاني عبث، والبداء والعبث لا يجوزان على الله تعالى، اذ كل منهما نقص يتنزه الله أن يوصف به.

وأعجب بعد ذلك من قول أبي مسلم الأصفهاني من متأخري المعتزلة الذي قال بجواز النسخ عقلا، ومنع وقوعه شرعا، واستدل بقوله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت:٤٢

حكمة النسخ

١- حكمة نسخ الشرائع السابقة

أ- أما حكمته سبحانه في أنه نسخ به الشرائع كلها فترجع إلى أن تشريعه أكمل تشريع يفي حاجات الإنسانية في مرحلتها التي انتهت إليها بعد أن بلغت أشدها واستوت.

و بيان ذلك أن النوع الإنساني تقلب كما يتقلب الطفل في أدوار مختلفة، ولكل دور من هذه الأدوار حال تناسبه غير الحال التي تناسب دورا غيره، فالبشر أول عهدهم بالوجود كانوا كالوليد أول عهده بالوجود سذاجة وبساطة وضعفا وجهالة، ثم أخذوا يتحولون من هذا العهد رويدا رويدا و مروا في هذا التحول، أو مرت عليهم أعراض متباينة من ضالة العقل و غماية الجهل وطيش الشباب، وغشم القوة على تفاوت في ذلك بينهم اقتضى وجود شرائع مختلفة لهم تبعا لهذا التفاوت، حتى إذا بلغ العالم أوان نضجه واستوائه وربطت مدنيته بين أقطاره وشعوبه، جاء هذا الدين الحنيف، ختاما لشرائع وجامعا لعناصر الحيوية ومصالح الإنسانية، ومرونة القواعد جميعا وفق بين مطالب الروح والجسد، وآخى بين العلم والدين ونظم علاقة الإنسان بالله وبالعلم كله من أفراد وأسر وجماعات وأمم.

ب- مراعاة مصالح العباد، فالله عز وجل أنزل كتابه ليقوم الناس بالقسط والمصلحة لهم أن يهتذوا بما أنزل إليهم، فلذا يسره لهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، وما وقع فيه النسخ تتحقق فيه هذه الغاية.

ت- إن الله سبحانه هو مالك الملك الحي القيوم، وهو الذي أنزل الكتب جميعا، و جعل القرآن مصدقا لما بين يديه مم الكتب، فعلى هذا ما وجد من نسخ لبعض الأحكام السابقة فيه فهو من تدبير العليم الخبير، القائل: والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

٢- حكمة نسخ بعض الأحكام في شريعة الختم

وأما حكمة الله في أنه نسخ بعض أحكام الإسلام ببعض فترجع إلى:

أ- سياسة الأمة وتعهدها بما يرقبها ويمحصها: وبيان ذلك أن الأمة الإسلامية في بدايتها حين صدعها الرسول بدعوته كانت تعاني فترة انتقال شاق، بل كان أشق ما يكون عليها في ترك عقائدها وموروثاتها وعادتها خصوصا مع ما هو معروف عن العرب من التحمس لما يعتقدون أنه من مفاخرهم وامجادهم، فلو أخذو بهذا الدين الجديد مرة واحدة لأدى ذلك إلى نقيض المقصود ومات الإسلام في مهده.

ب- ابتلاء المكلف واختياره بالامتثال وعدمه.

كان النسخ بالنسبة إليه واحدا من أصدق وأهم وسائل التربية والإعداد في بناء شخصيته على الصعيد الفردي، وفي مواجهته على الصعيد الجماعي، مع الجاهلية العربية وسائر الجاهليات الأخرى في الأمم والشعوب. بل قد يمكن القول: إن النسخ كان ضرورة لابد منها لنقل أبناء عصر الجاهلية إلى الإسلام. بدليل أنه جاء مرة نسخا مباشرا، وجاء مرة أخرى على مراحل...

وقد نجح جيل الصحابة رضي الله عنهم في تقديم أرفع النماذج الإنسانية، في كل مجال.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، الشي قدمت لنا سيرته الشريفة أهم وسائل ذلك الإعداد التاريخي. وألفت ضوء على فهم مراحله، فقد نجمع في شخصه الكريم كل تلك الصفات و الجمالات الرفيعة، وبلغ في كل واحد منها مبلغا لم يبلغه أحد ممن فرغ له نفسه، سواء أكان من الصحابة أم من غيرهم، فكان بذلك رسول رب الناس إلى كل الناس صلى الله عليه وسلم.

وبعد أن ثم هذا الإعداد، في النموذج الأكمل صل الله عليه وسلم، أصبحت الأمة الإسلامية مطالبة بالأحكام الأخيرة في البناء والإعداد، وأصبح النسخ هو قمة تاريخية، لا يمكن ولا يعقل تكرارها مرة أخرى بعد قيام الحل الأول.

طريقة معرفة النسخ :

لا يصح القول في النسخ جزافا، فلا يعتمد في النسخ على قول المفسرين، ولا اجتهاد المجتهدين. من غير نقل صريح، لأن النسخ يتضمن رفع حكم، وإثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم، والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد كما قال ابن الحصار رحمه الله.

هذا ما أوقع الكثير من العلماء في الخطأ، فمجرد ظهور شبهة التعارض يلجؤون إلى القول بالنسخ في حين أن الجمع بينهما ممكن، ولا شك أن الجمع هو الأولى من إهمال أحدهما، بل الجمع بينهما ولو من وجه من الوجوه أولى من إهمالهما من كل الوجوه وادعاء النسخ فيهما، لأن النسخ على خلاف الأصل، وما كان خلاف الأصل لابد من بينة عليه، وإلا لم تقم به حجة، وهذه الحجة:

- إما أن ينص اللاحق على أنه ناسخ للسابق لفظا أو دلالة، كما سيأتي ذكره في آيات المناجاة، أو آيات الزنا، أو ما ورد في الحديث الشريف: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزروها".

- وإما أن يكون بين النصين تعارض بحيث لا يمكن التوفيق بينهما، فينظر في النصين المتعارضين، فإن كان أحدهما معلوما وقطعيا والآخر مظنونا فالعمل بالمقطوع واجب.

وإن كانا معلومين مقطوعا بهما، أو ظنيين في درجة واحدة من القوة، ينظر إلى القرائن كأن يكون أحدهما متأخرا عن الآخر فيكون المتأخر ناسخا والمتقدم منسوخا.

وقد يعرف التاريخ (مثلا) من إسناد الراوي كأن يقول: هذا الحديث في غزوة كذا أو سنة كذا، أو يقول نزلت هذه الآية في مكة والأخرى في المدينة أو نحو ذلك.

أما إذا جهل التاريخ فلا نسخ؛ إذ إن أحدهما ليس بأولى من الآخر بالنسخ، وكل من ادعى غير ذلك فقوله مردود لعدم معرفته التاريخ .

أنواع النسخ

جرت عادة العلماء التفسير والأصول أن يذكروا للنسخ أنواعا ثلاثة:

- نسخ الحكم دون التلاوة.
- نسخ التلاوة دون الحكم.
- نسخ الحكم والتلاوة معا.

وهذا تفصيل القول في الأنواع الثلاثة:

١- منسوخ الحكم دون التلاوة:

هذا النوع الوحيد الجدير بالقبول، لذا فقد اتفق جميع العلماء على وقوعه وجوازه، واختلفوا في عدد الآيات المنسوخة فمنهم المكثر، ومنهم المقتصد، ومنهم المقل، وأما القول بأن النسخ في القرآن تجاوز المئات فقول يخالف مقاصد إنزال القرآن هداية وتشريعا، وهي أقوال لا يدل عليها فطرة من عقل ولا نقل، ولقد حصر الإمام السيوطي

قضايا النسخ في عشرين موضعا، واختصرها المرحوم مصطفى زيد بما لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، وهاك من الأمثلة المتفق عليها.

أ- كان قيام الليل -قبل فرض الصلوات- فرضا على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته ؛لقوله تعالى: (يأيها المزمل ١ قم الليل إلا قليلا ٢ نصفه أو انقص منه قليلا ٣ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) المزمل :١-٤

فمكث يجتهد بقراءة القرآن حتى نزول قوله تعالى في آخر السورة: (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه و طائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه و أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) المزمل:٢٠.

وبهذا صار التهجد تطوعا من الرسول بعد أن كان واجبا عليه وفي هذا تقول عائشة فيما رواه مسلم عنها:

)فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول السورة -تقصد سورة المزمل- فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة).

¤صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ٥١٢/١ مختصر ح(٧٤٦) (١٣٩).

ب- ومثال آخر على منسوخ الحكم دون التلاوة:

ما ذكره المفسرون في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) المجادلة:١٢.

فقد نسخ بقوله تعالى: (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) المجادلة:١٣

هذا النوع منسوخ الحكم دون التلاوة هو المتفق عليه، ووجوده في القرآن شاهد عيان، فآياته مازالت تتلى في كل وقت وكل حين.

وفي وجود الآيات وانتقاء التكليف بها فائدة عظيمة، وهذا من تمام الحكمة الربانية أن تبقى الآيات القرآنية التي نسخ حكمها تقرأ بألفاظها إلى يوم الدين، لترى فيها سائر أجيال هذه الأمة كيف تم إعداد جيلها المثالي الأول، وما هي الأحكام المرحلية التي

احتاجت إليها الجماعة الإسلامية الأنموذج في أطوار نشأتها وتدرجها، وكيف ثم قطع علاقتها بالجاهلية. وربطت بأسباب الحياة الإسلامية والدين الجديد الأخير الخالد.

٢- منسوخ التلاوة دون الحكم:

استدل القائلون بجواز نسخ التلاوة مع بقاء الحكم بما روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: (كان فيما أنزل آية الرجم بمعنى: (الشيخ والشيخة إذا زينا فأرجموهما البتة) قرأناها ورعيناها وعقلناها فرجم رسول الله ورجمنا بعده).

وهذه الرواية إسنادها صحيح، وفي متنها نظر، فقد روي عن عمر قوله: (لولا أن يقول الناس زاد عمر في المصحف لكتبتها)، وهو كلام يوهم أنه لم ينسخ لفظها أيضا، مع أنهم يقولون: إنها منسوخة اللفظ باقية الحكم، ورواية تذكر قيد الزنى بعد ذكر الشيخ و الشيخة، و رواية أخرى لا تذكره، و رواية تذكر عبارة <نكالا من الله>، و رواية لا تذكرها، بل رواية البخاري لا تذكر الشيخ و الشيخة، وما هكذا تكون نصوص الآيات القرآنية ولو نسخ لفظها.

وقال الشيخ محمد الصادق عرجون في كتابه محمد رسول الله: "وقد بيّنا بيانا شافيا أن ألفاظ ما زعمه آية قرآنية نزلت في وجوب حد الرجم لمن زنى بعد إحصان في رواياتهم (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله)، لم تكن قط من ألفاظ القرآن الكريم، ولا ألفاظ الحديث النبوي الشّريف، فلم يستعملا كلمة "الشيخة" في معن الإحصان ولا "الشيخ" في هذا المعنى، وكذلك كلمة "البتة" لم ترد في القرآن الكريم البتة، لا فيما ثبتت قرآنيته بالتواتر ثم نسخ، ولا فيما أحكم فلم ينسخ منه شيء.

فلذا هذا الحديث المروي عن عمر، لا يمكن اعتباره قرآنا بحال من الأحوال لأن القرآن لا يثبت برواية الآحاد وإن صحت، ذلك لأن القراءات القرآنية لا تثبت قرآنيتها إلا بالتواتر، وإلا ردت وحكم عليها بالشذوذ، ولو صحت روايتها آحادا.

قال أبو جعفر النحاس: وإسناد الحديث صحيح إلا أنه ليس له حكم القرآن الذي نقله الجماعة، ولكنه سنة ثابتة.

ونختم الحديث عن هذا النوع بما قال الدكتور مصطفى زيد: "ومن ثم يبقى منسوخ التلاوة باقي الحكم مجرد فرض، لم يتحقق في واقعة واحدة، ولذا نرفضه ونرى أنه غير معقول ولا مقبول، فإن القول بأنه سقط شيء من القرآن، أو أنه لم يتواتر فلم يثبت في القرآن قول لا يسنده دليل ويجعل للمغرضين صيدا ثمينا للنيل من القرآن، فرد الروايات أهون من الدخول المتاهات.

٣- منسوخ التلاوة والحكم معا:

استدل القائلون بجوازه مما يروى عن عائشة: (كان فيما أنزل الله عشر رضعات معلومات يحرّمن، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن.

وفي هذا النوع من النسخ كلام مثل ما سبق وقلناه عن النوع السابق.

قال الزركشي: "الأخبار فيه أخبار الآحاد ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها".

أما الشيخ محمد علي السائس فقد نقل قول بعض العلماء: بأن حديث عائشة الذي رواه مالك وغيره لا يصح الاستدلال به، لاتفاق الجميع على أنه لا يجوز نسخ تلاوة شيء من القرآن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا إسقاط شيء منه، وهذا الحديث يفيد أنه سقط شيء من القرآن بعد وفاته.. وهذا هو الخطأ الصراح.

أقسام النسخ عامة:

أولا: نسخ القرآن بالقرآن:

وقد يبق القول فيه وفي أنواعه.

ثانيا: نسخ السنة بالسنة:

اتفق العلماء على جوازه كذلك، حتى نفاه وقوع النسخ في القرآن ذهبوا إلى القول بهذا النوع، والمثال عليه واضح (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها).

ثالثا: نسخ السنة بالقرآن:

وحوادثه كثيرة، منها:

ما ورد في الصحاح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوجه في الصلاة إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: قد ترى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيت ما كنتم فولوا وجوهكم البقرة:١٤٤.

رابعا: نسخ القرآن بالسنة:

أما هذا النوع فقد ذهب الشافعي إلى منعه وعدم جوازه، وذهب جمهور العلماء إلى جواز نسخ القرآن بالسنة.

وندع المناقشة بين الفريقين والتي لا يترتب عليها أثره إذا لم نجد فيه واقعة واحدة من وقائع النسخ على هذا النوع، ومن هنا نرى أن الخلاف الذي قام حول جوازه خلاف نظري، يحسمه عدم وقوعه ووجوده.

خامسا: نسخ الإجماع بالإجماع:

أما نسخ الإجماع بالإجماع فإن الإجماع كما قال الأصوليون: لا ينسخ ولا بنسخ به، إذ لا يتصور أن يحصل إجماع على نسخ نص، إذ لا يصح الإجماع مع وجود النص، كما لا يصح أن ينسخ إجماع إجماعا لعدم صحة أحدهما، والكلام يطول في هذا النوع وفي النسخ بالقياس، وفي كتب الأصول المزيد لمن أراده......... **تم والحمد لله** .

H - M /AL- G

2021 /9 /30